



في ظلال حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب

عبد الله الحامد

كتاب الشهر (٦)

جمادى الثاني ١٣٩٩ هـ - مايو ١٩٧٩م
النادي الأدبي بالرياض
المملكة العربية السعودية . الرياض ص ب ٣٦٥٩
ت ٦٦٦٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

هذا الكُتَيِّب قسم مستل من رسالة تتنـاول الشعر في الجزيرة العربية ونجد والحجاز والأحساء والقطيف ، منذ قيـام حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب حتى منتصف القرن الرابع عشر ، وهو محاولة لتأريخ هذا الشعر والوقوف على أبرز سماته وظواهره ، في تلك الفترة التي جار عليهـا بعض البـاحثين ، فاعتبروها امتدادا لعصور الانحطاط ، ضحالة وركاكة وضعفا . وأرسلوا بعض الأحكام المُعَمَّمَة التي تنتجت عن تطبيق المذاهب النقدية الحـديثة كاملة ، دون مراعاة لظروفه وأجوائه ، وهي المقـاييس التي لو طبقت على أدبنا العربي في أزهى عصوره ، لحولته إلى رماد لا خير فيه .

وقـد حاول البحث أن يكشف جوانب مضيئة في هـذا الشعر ، فيها قوة ، جـدة ، وسمات أخرى تميز هذا الشـعر لا توجد إلا في الأدب الحي الذي يواكب الحركات الاصلاحية الدينية والسياسية .

على أن هذه القوة وتلك المزايا نسبية عندما نقارن هـذا الأدب بالأدب في أنحاء الجزيرة الأخرى . أو يقارن بين الشعر

قبل الشيخ وبعده وكيف انتقل طفرة من عامي إلى فصيح .

وقد حاول البحث الوقوف على سمات الشعر خلال فترة تمتد قرابة قرنين ، منذ قيام محمد بن عبد الوهاب بالدعوة ، في منتصف القرن الثاني عشر ، إلى منتصف القرن الرابع عشر ، فتحـدث عن أبرز الشعراء ، ودرس شعرهم ، وعني بدراسـة ما تيسر من شعر خصوم حركة الإمام كعثمان بن سند ، وتتبع شعر العلماء الذين كانت شهرتهم في العلم ، إلا أنهم شاركوا في رسم ظواهر الشعر كعبد اللطيف آل الشيخ .

د. عبد الله الحـامد

الأستاذ المساعد في قسم الأدب

كليـة اللغـة العربية

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الرياض ١٣٩٩/٨/١٥ هـ

الفصل الأول

المـــوضوعات



١
شرح أفكار الدّعوة

أول ما يطالعنا من أغراض الشعر ، شرح الدعوة وأهدافها ، سواء فيقصائد موجهة إلىمعين ، أم قصائد عامة توجه إلى الناس، ولآل الحفظي في ذلك دور بارز ، فقد نظم أحمد أرجوزة يشرح فيها فكرة الإمام ، وأنه لم يأت ببدعة ، بل يحيى آثار السلف يقول في مطلعها[١] :

شيخ الهدى محمد المحمدي الحنبلي الأثري الأحمدي

وكتب ابنه محمد يدعو المنصور إمام اليمن الى هدم القباب المشادة فوق القبور ، وتخليص التوحيد من أدران الشرك يقول فيها[٢] :

فيا أيها الحي اليماني دونكم نداء إلى التوحيد لبوا لداعيه
وهذا كتاب الله يحكم بيننا ويشهد بالحق المبين ويقضيه

ويدعو أحمد الحفظي الثاني الناس الى العودة الى الدين ، ويصور السنة متهمة قد عميت على الناس أنباؤها[٣] :

---

(١) نفحات من عسير : ١٥٠.
(٢) نفحات من عسير : ١٥٠.
(٣) نفحات من عسير : ١٥٠ وانظر شعر ابن مشرف الذي يختلط فيه البيان بالدفاع في ديوانه : ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٨ و ٤٣ و ٤٨ و ٥١ .

الشرعنادى ملوكالأرض بلطلبا حكما صحيحايزيلالشكوالريبا
وقدمالعرضلكن ما استجيبله وحقه في ملوك الارض قد وجبا
نادى بصوت بليغ للعباد معا اني جعلت لأغراض الدنا سببا
وسيلة لصلاح الامر صرت لهم وسلما لصعود السطح قد ركبا

وهذا الغرض أضعف وأقل الأغراض ، وذلك يعود الى أن الشعر تأخر عن مواكبة الدعوة باللسان والرسائل والكتب[1] . فقد كان الشعر في نجد آنذاك عاميا ، أما في غير نجد فقد تأخر تأثر الشعراء بالدعوة ، وأولهم ابن غنام الذي واكب طور الجهاد ، ولذلك قل الشعر الذي يعرض أفكار الدعوة بالأسلوب الهادىء ، ولم يوجد الشعر قويا الا في مواكبة الكتائب المحاربة ، على أطراف العراق ، وفي تخوم الحجاز ، حين تحولت الدعوة الى حركة ، فكثر شعر الدفاع الديني والمذهبي والسياسي ، كما سيأتي .

(١) الادب الحديث في نجد : ٢١ .

٢
شعر الدّفاع عَن الحَركة

- ١ -

واكب الدفاع عن الدعوة جميع مراحلها بما فيها الحركة ، لكنه عنى بالذات بجانبها الفكري ، لأن أكثر المهاجمين كانوا يهاجمون فكرة الدعوة ، أكثر من حركتها وبدأ بشكل الدفاع المجرد ، وشرح أفكار الدعوة بأسلوب هادىء ثم تطور الى اسلوب قوي حاد ، ثم ظهرت النقائض بين شعراء الدعوة ، وشعراء الأقطار ما قرب منها وما بعد ، والنقائض أخذت في أولها مأخذ الدفاع من الجانبين ، معتمدة على مناقشة الأفكار التي يدلى بها كل فريق ، لكنها ما لبثت أن تحولت الى هجاء سياسي وديني ومذهبي ، وفي هذا الفصل بيان بكل ذلك ، وأسبابه ونتائجه[1] .

---

(١) تصور بعض الباحثين شعر الدعوة تصورا خاطئا (الحركة الأدبية ٦٢ ـ ٨٠) فقال ان محور حديث شعراء الدعوة عن عقيدة التوحيد ، وصفات الكافرين والمسلمين ، والوضع السياسي والاجتماعي وهذا التقسيم على نقصه ، اخطأ فهم شعر الدفاع عن الدعوة فسماه بهذا الاسم واخطأ تصوره حين عرف صفات الكافرين وصفات المسلمين وقد ساقه هذا التصور الى مزلق آخر (انظر الحركة) اذ قال « ان الشعراء كرروا صفات الكافرين وصفات المسلمين وتحدثوا عن العقيدة في تكرار ممل لا فائدة فيه » ، بينما تكرار الافكار الذى يجعل القصيدة تقترب من الاخرى ناتج عن تكرار مواقف الدفاع عن الدعوة ، فكل مهاجم يجاوب عن نفس ما يسأل عنه ، ولكل موقف مقال فاذا تشابهت المقالات بتشابه مقاماتها فهذا بديهى أن يقع وان يكون حسنا .

أما المرحلة التي تطور منها الشعر الى الدفاع ، مرحلة شرح أفكار الدعوة بالأسلوب الهادىء فقد عرضت قبل ، أما قصائد المناقضات التي يختلط بها الدفاع بالهجاء ، فأول ما نعلم قصيدتان بين محمد بن فيروز ، وابن غنام ، كتب ابن فيروز قصيدة يمتدح بها ثويني بن عبد الله الذي ولاه سليمان باشا والى بغداد قيادة جيش لحرب الدرعية ومطلعها[1] :

أنامل كف السعد قد أثبتت خطا ... بأقلام حكام لنا حررت ضبطا

فرد عليه ابن غنام بالطائية المثبتة في تاريخه ، مطلعها[2] :

على وجهها المرسوم بالشؤم قد خطا ... عروس هوى ممقوتة زارت الشطا
تخطت فأخطت في المساعي مرامها ... ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وثارت لنار الشرك تذكي ضرامها ... وسارت فبارت والإله لها قطا
ولا كابن فيروز يروم سفاهة ... دفاعا لحق في البرية قد خطا
يغالب أمر الله ، والله غالب ... ويندب من لا يملك الرفع والحطا
فتبا وسحقا يا لها من مقالة ... من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا

ويصعب على الدارس فحص هذه النقائض ، لأن ابن غنام مثلا لم يثبت من أبيات ابن فيروز الا المطلع ، فقد ذهبت أكثر قصائد معارضي الدعوة ، وبقي القليل جدا منها ، مثلما حدث في النقائض الإسلامية الجاهلية ، إذ ذهب أكثر النقائض الجاهلية

---

(١) و (٢) تاريخ ابن غنام .

ولم يبق منها إلا القليل ، بينما بقيت كل النقائض الإسلامية ، ومن أسباب ذلك ظهور الدعوة على معارضيها وأعدائها ، بحيث لم يبق لأهــل تلك القصائد مناصر في العلن فذهبت بذهاب أهلهــا . واضمحلال أنصارها ، ولم يبق منها الا مايشم منه من بعيــد رائحة الهجوم ، كما في بعض المختارات الشعرية ،[1] يغلب على الظن وجــود أكثر هــذه النقــائض عند أصحاب المــكتبات الخاصــة ، الذين يضنون بهــا ، هــذا من جانب ، والسبب الآخر أن أهــل الدعــوة لا يحرصــون على اثبــات شــعر معارضيهم ، ولا على روايته إلا ما ندر ، وديوان ابن سحمان وهو أكبر شعراء الدعوة في النقائض والمهاجاة لا تجد فيه قصيدة واحدة كاملة سجلها كما قالها صاحبها ، بل يعارض القصيدة ، ويستعرض أفكارها ، وربما ذكر بعض أبياتها ضمن قصيدته ، وربما كان الشاعر قد وثق من معرفة جمهوره للقصيدة ، أو أنه أغفل قصائد المعارضين خيفة أن يدخل كلام المعارضين في نفوس العامة ، أو أن قصائد المعارضين قــد حذفت عند طباعة بعضــ الدواوين والكتب ، والا فما معنى أن ينشر شاعر في قدرة ابن سحمان قصائده دون معرفة أجوائها ومناسباتها ، ودون أن يعرف القارىء ما هي الحجج التي عنى بنقضها ؟ ، وما هي أشعار هذا الفريق وذلك ؟ ، لكي يستطيع سواء كان عالما أو متعلما أن يدرك الحقيقة كاملة .

(١) انظر مختارات آل عبد القــادر : ٢٥٩ و ص ٢٠ من هذا الكتاب .

- ٢ -

ونأخذ في حديث النقائض التي تتصل بالدعوة فكرة ومبادىء ، فهي التي ركز عليها شعراء النقائض ، وأول غرض جالوا فيه الدفاع عن الإمام محمد ، الذي كثرت عليه السهام من الشعراء العلماء والزعماء على سواء ، وأخف نقد قاله خصوم الدعوة عن طريق الشعر قول حسن بن خالد ، من أهل المخلاف[1] :

أما الرسالات التي تأتي من الـ	ـداعي فأمر ما به من مدخل
لكنها جاءت بأيدي عصبة	عملوا بضد مفصل مع مجمل
بل صرحوا بالشرك في كل الورى	من أمة الهادي بغير تأمل
وكم استباحوا من شيوخ ركع؟	كم من تقي عابد متبتل ؟

وهذه القصيدة جواب لقصيدة كتبها محمد الحفظي يدعو فيها حاكم المخلاف السليماني علي بن حيدر لاعتناق أفكار الدعوة ويدافع عن إمامها منها[2]

ويذب عن شرع النبي محمد	ويذم من يدعو النبي أو الولي
أن كان ظنا أن فيه غلاظة	وفظاظة ونكاية لم تجمل
فأقول حاشا إن فيه ليونة	وبشاشة للمقبل المستقبل

ومن النقائض دالية لزيني دحلان ، لفق فيها بعض القضايا على الإمام فقال إنه كان يريد النبوة ، لكنه لم يجد مجالا

---

(١) نفحات من عسير : ٦٠ ـ ٦١ .
(٢) نفحات من عسير : ٥٨ ـ ٥٩ .

لذلك ، وانه قتل أعمى كان يديم الصلاة على النبي ، فجلده حتى مات ، وان المذهب الذي قام به مذهب خامس ليس بحنبلي ، ولا حنفي ، ولا شافعي ، ولا مالكي ، وكانوا يعتقدون مع عوامهم أن المذاهب أربعة ، وكل خامس منها فهو خارج الملة فقال ابن سحمان يناقضه[1] :

فان كان دينا خامسا دين أحمد شفيع الورى الهادي إلى منهج الرشد
لديكم ومن يأتي به متوهب على خير دين المصطفى الكامل المجد
فنشهدكم أنا على ذلك الذي أتانا به المعصوم أفضل من يهدى

وسكنت ثائرة المهاجمين ، حتى ألف ابن جرجيس كتابه « التقديس » في الرد على الوهابية ، فألف الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ وابنه عبد اللطيف ، كتبا في الرد عليه فكان الشعراء على الجانبين ينقضون ويؤيدون ، ويدافعون ويهاجمون .

قال عثمان بن منصور مبتدئاً يمدح داود بن جرجيس ، مرسلا قصيدته من ربى نجد الى خليله في عالية العراق[2] :

سرت من ربى نجد تجر ثيابها معطرة الادران كالنفل المثرى
من الخل عثمان التميمي نظمها على نقض زيف من طغام صدى وكر

ويمتدح فيها داود ، ويثنى على حسبه ونسبه[3] :

---

(1) ديوانه : ٣١ .
(2) الاصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ ، ولا يغب عن ذهن القارىء أن قصيدة عثمان حرفها النساخ حتى أصبحت بعض أبياتها دون معنى فاثبتناها على علاتها .
(3) الأصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ .

سـمي نبي الله داود ليتنـى تمليت منه الأنس [في] ساعة العمر
إلى جده جرجيس بالأصل ينتمي لبنت رسول الله عالية الخـدر
فدم واستقم مادمت [في الله] قامعا لشيعة جنـد النهرواني والجبر

وقد تناول شعراء الدعوة هذه القصيدة بالازراء والنقص ، قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن[1] :

هدية عثمان إلى شر صاحب إلى الجسر من بغداد بالود والبر
مؤيـدة حزب الضلال وثيقـة إلى درك النيران أعمالها تسرى
بها من صريح الإفك أخبث مورد وإن ظنها الجهال من خالص التبر

وناقضه أيضا ابن مشرف بقصيدتين مطلع الأولى[2] :

وقفت على نظم لبعض بنى العصر تضمن أقـوالا بقائلهـا تـزرى

والثانية مطلعهـا[3] :

يا ظبية البـان بل ياظبية الدور هل أنت من نسل حوا او من الحور؟

وقال أمين بن حنش ، وقد ضم صوته إلى عثمان بن منصور ، يدافع عن داود بن جرجيس ، بقصيدة منها[4] :

الحق لا شك ما افتى الامام به اعنى به الشيخ داود بن سلمانا

ويبدو أنها جاءت متأخرة عن قصيدة عثمان بن منصور ،

(١) الاصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ .
(٢) ديوانـه : ٢٧ .
(٣) ديوانـه : ٢٩ .
(٤) ديوان ابن سحمان : ٢٢٣ .

لأن الذي تصدى لها كان ابن سحمان تلميـذ عبد اللطيف بن عبد الرحمن فقال من قصيدة :

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الاصيل ولا من حاز عرفانا

ولم تثر قصائد النقائض حول معارك تتصل بشخص معين ، أو كتاب معين إذا استثنينا هاتين المعركتين ، بل كانت تهتم بقضايا دينية وفكرية ، لها طابع الاتصال بالإمام ، لكن المعارك تناولتها كقضايا دينية ، لم توصل بشخص معين ، وطبعا كان ذلك بعد ما شاعت تلك الأفكار ، وفي مقدمة القضايا التي تبودلت حولها القصائد ، وكثرت النقائض مسألة الإجتهاد والتقليد ، قال ابن مشرف ، يزرى بالمقلدين[1] :

وكل فقيه في الحقيقة مـدع	ويثبت بالوحيين صدق ادعائه
فواحر قلبي من جهول مسود	به يقتـدى في جهله وشقائه
اذا قلت قول المصطفى هو مذهبي	متى صح عندى لم اقل بسوائه
يرى انها دعوى اجتهاد صريحة	فوا عجبا من جهله وشقائه

وابن مشرف يثير القضية التي أثار غبارها صديق حسن خان بكتابة « الدين الخالص » ، الذي دعا فيه الى الإجتهاد ، وقطع ربقة التقليد ، وكان له معارضـون كثير في الحجاز والشـام والعراق والأحساء ، وهذا ابن سحمان يحمل على أحدهم بقصيدته الميمية ، التي هي من أقوى وأعنف ما كتب في الدفاع[2] :

(١) ديوانـه : ٢٩ .
(٢) ديوانـه : ١٩٥ .

ودعواه ان الناس من الف حجة رأوا منهجالتقليد قد كانأسلما
ومن كان بالنصين ياخذ انهم علىمذهب الأرفاض أو منتأمما
الا انهم ما قلدوا لأئمة جها بذة كانوا أبر وأحكما
فدعواه دعوى لا تقوم بحجة مجردة يدرى بها من ترسما

وهو يوجه هذه القصيدة الى أحد أعيان العلماء ، لكننا لا نعلم شيئا عن القصيدة التي قالها المهاجم ، كما لا نعلم عن قصيدة الشاعر الذي هاجمه ابن مشرف ، وإن كان معروفا أنهما يهاجمان علماء من الأحساء ، ولذلك نجد لبعضهم دفاعا عن نفسه ضد تلك القصائد ، قال عبد الله آل عبد القادر[1] :

ياقبح الله بدعيا يحاول من اثبات بدعته ما كان ينهار
اخو هوى مولع بالحق يدفعه له على أهله رد وإنكار
يقول هذى فروع ضل آخذها وإنما هي قرآن وآثار
وضلل الناس في تقليدهم سلفا هم الهداة الألى للدين أنصار

ولعل المعارك لم تعنف في شيء من القضايا ، كما عنفت واشتدت في قضية بناء الأضرحة على القبور ، والطواف عليها ، ومسألة زيارة النبي عليه السلام والنذور للقبور ، والذبائح التي تراق على عتباتها للصالحين والأولياء ، قال أبو بكر الملا ينتقد أهل الدعوة[2] :

فناذر شيء للرسول وزائر له عندهم في دينهم مشرك حقا

---

(1) مختارات آل عبد القادر : ٢٥٩ .
(2) ديوان ابن سحمان : ٩١ .

فناقضه ابن سحمان ، ورد عليه هذه القضية بقوله [١] :

نعم إن هذا النــذر لله وحــده فاشراكهم للمصطفى أوجب الفسقا

وتولى كبر هذه القضية أحمد زيني دحلان ، في نثره وشعره القائل : إن الزيارة ثابتة بالنص والإجماع [٢] :

إلى قبر خير العـالمين محمـد وأصحابه والصالحين ذوي المجد
لمشروعة مطـلوبة بل وقربـة يشد اليه الرحل من كان ذا بعد
وإن قبـور الأنبيـاء جميعهم تزار بأعمال النجائب بالوخـد
ومن جاء نحو المصطفى بعد موته كمن جاءه قبل الممات بلا جحد

ويتلقف قصيدته ابن سحمان فينهال عليها نقضا حجة حجة ، متكلفا في ذلك مطولا في قصيدة بلغت خمس مئة بيت ، منها قولــه [٣] :

فتحكي إلى الإجماع هلا عزوت ما نقلت إلى أهل الدراية والنقـد
ولكن إلى السبكي من ليس حجة أو الهيثمي من حاد عن منهج الرشد
فأحمد والنعمـان قـالا ومالك يقول وقال الشافعي بلا جحـد
وكل إمـام كالبخاري ومسـلم واسحاق والثوري ذي الزهد والمجد
يقولون إن الشد للرحل بدعة إلى مسجد غير الثلاثة بالقصد
.. أهل كان من هدي الصحابة أنهم يؤمنون قبرا للزيارة من بعد ؟
ولو كان حقـا جائزا في زمانهم لكانوا لـه والله كالإبل الـورد

---

(١) ديوان ابن سحمان : ٩١ .
(٢) ديوان ابن سحمان : ٧ .
(٣) ديوان ابن سحمان : ٨ـ١٠ .

أما الأضرحة على القبور فقد كان المعارضون أقل احتفالا بها ، وإن كانوا يحتجون بالعامة دائما ، قال ابن مشرف ينعى عليهم الطواف بها ، والاستغاثة بها ، والدعاء لها[1] :

قد خالفوا السنة الغراء وابتدعوا	والشرك جاءوا بحظ منه موفور
لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا	بكل ذي حدث في اللحد مقبور
هـذا يطوف وهـذا في تقربه	يأتي اليـه بمنحور ومنـذور
وذا به مستغيث في شـدائده	يرجو الإجابة في تيسير معسور

وحين فتح الملك عبد العزيز مكة هدم القباب المشادة ، وفرق سدنتها ، وأزال مظاهرها ، فآلم ذلك أحد المتبركين بها فقال[2] :

وكم هدموا قبرا مشيدا ومشهدا	لخير نبي أو لأفضل صاحب ؟
وما تلك أوثان سررتم بكسرها	ولكن قبور قد أشيدت لذاهب
تذكر أهليـه مواضع دفنـه	وتبقى لنا ذكرى فقيد وغائب

فنقض قصيدته محمد بن عثمان الشاوى بقصيدة منها[3] :

اما أمر المبعوث للناس رحمة	عليا أبا الشبلين ليث الكتائب
بأن لا تدع قبرا منيفا وصورة	فبادر بل أوصى به كل صاحب

وفي مسائل التوحيد كثرت النقائض ، وألفت المنظومات ،

---

(١) ديوان ابن مشرف : ٢٩ .

(٢) و (٣) التذكرة : ١٦٦/٣ ، ١٦٧ .

هؤلاء يدافعون عن مذهب أهل السنة والجماعة ، ويسمون خصومهم بالمعطلة والجهمية والقدرية ، وأولئك ينادون بآراء المعتزلة ، والأشاعرة ، والجهمية ، ويسمون الآخرين المجسمة والخوارج ، إلى غير ذلك من القضايا التى شغل الفقهاء بها أنفسهم كل يكفر الآخر ، وكل يدعى أنه هو الأمة الوسط ، وأنه الفرقة الناجية التي استثناها الرسول من الثلاث والسبعين فرقة ، التى كلها في النار إلا واحدة ، وغير ذلك من القضايا التى فرقت بين الأمة الإسلامية ، واتخذت من النوافذ أبوابا ، ومن الفروع أصولا ، حتى توسع الخلاف وصعبت على الناس العودة الى القرآن والسنة بالفطرة ، دون شحن الدماغ بقضايا فلسفية تضل حاملها أكثر مما تهديه ، ودون التضييق في فهم الكتاب والسنة ، واستخدام ألفاظ الكفر بين العلماء . ومن القصائد التى عنيت بمذهب أهل السنة ، والهجوم على أعدائهم قصيدة ابن مشرف التى سماها « الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية » ومطلعها :

نفيتم صفات الله فالله اكمل ... وسبحانه عما يقول المعطل

- ٤ -

أما الجانب السياسي من الدفاع : فمن القضايا التى ثار حولها الجدل والدفاع ، قضية الهجرة من البلاد التى يحكم فيها بغير القانون الإسلامى ، أو الثورة على الحاكمين ، وهي قضية

ذات طابع سياسي ، ربما لا يعيرها اتنباها الذين يجهلون معنى الحركة الإسلامية ، لتحقيق الإسلامية الكاملة عقيدة وشريعة ومنهاج حكم وحياة • قال ابن سحمان يحض أهل الأحساء على الثورة على الأتراك ، ويشرح لعلمائها أنهم بين أمرين : إما الجهر بما يعتقدون واصلاح ما يفسد الأتراك ، أو الهجرة ، وهو يخاطب عبد اللطيف بن عمير[1] :

إذا لم تبادرهم بعيب لدينهم ... وتكفيرهم جهرا فقد كان أوجرا
ففرض عليكم واجب أن تهاجروا ... كما قد أتى نصاً به الله أخبرا

وقال لآخر من الأحساء ، وعدد له مظاهر الحياة الاجتماعية الفاسدة في عهد الأتراك ، وشيوع الفواحش ، وكثرة المظالم ، وعيره بالمقام على الضيم[2] :

واعلم بأن الظلم والظلم التي ... قد شادها الإصرار والآصار
في هذه البلد الذي أنتم بها ... والحكم بالقانون والأوزار
وبها اللواط لدى العساكر والزنا ... والخمر والتنباك والمزمار
والله حرم مكث من هو مسلم ... في كل أرض حلها الكفار
ولهم بها حكم الولاية قاهرا ... فاربأ بنفسك فالمقام شنار

ويقول لآخر : ليس الدين التقرب من أبوابهم ، ومحافلهم أو الانزواء عنهم بخيرهم وشرهم[3] :

ولكن بتكفير لهم وبشتمهم ... جهاراً وتصريحاً وغيباً ومحضرا

---

(1) ديوانه : ٧٤ .
(2) ديوانه : ٧٦ . التنباك : الدخان .
(3) ديوانه : ٢٥ ـ ٢٦ .

ويبدو أن الذين يجاد لهم شعراء الدعوة كانوا يردون عليهم نارا بنار ، فيأخذون على آل سعود بعض المآخذ السياسية ، والعسكرية ، ولذلك نرى ابن سحمان يعتذر عن آل سعود ، ويقول إن هزلهم خير من جد حكامكم ، لأنهم صالحون ، عادلون ، في الغالب[1] :

فآل سعود بالصعود إلى العلا	مآثرهم معلومة الحال والمحل
فهم بالهدى أحرى وبالخير والتقى	وليسوا بمعصومين من سائر الخلل
ففيهم أمور منكرات وفعلها	حرام عليهم لا يسوغ ولا يحل
ولكنهم أولى بكل فضيلة	وأحسن حالا من ذويك ذوي الخطل

وفي قصيدة أبي بكر الملا القافية التي عرضنا لها ، ولرد ابن سحمان عليها ، ، نجده يردد أن أهل الدعوة صدوا الناس عن البيت المحرم ، وآووا قطاع الطرق ، ويرد عليه ابن سحمان فيؤكد انهم لم يمنعوا الناس عن الحج إلا حين أبوا أن يأتوا إلى مكة إلا ومعهم لهوهم ، ومر ذكر قصيدتين بين محمد بن فيروز ، وحسين بن غنام في حملة ثوينى بن عبد الله ، ومن الشعر السياسي أيضا ما قاله عثمان بن سند النجدى البصرى عام ١٢٣٣ يتشفى من الدعوة وأصحابها ، الذين سقطوا صرعى تحت ضربات

(١) ديوانه : ١٣٧ .

ابراهيم باشا بقصيدة مطلعها [1] :

لقد فتحت للدين اعينه الرمــد   لدى لاح من بين السيوف له السعد

فرد عليه ابن مشرف بقصيدة مطلعها [2] :

اليل غشا الدنيا ام الأفق مسود؟   أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟

---

(۱) و (۲) ديوان ابن مشرف ٥٠ و ٥١ .

٣

شعر الهجاء

- ١ -

ولم يلبث اسلوب الهجاء أن دخل النقائض ، فتحولت القصيدة إلى هجاء دينى ، وسياسي ، ومذهبي[١] ، يقل فيه الاعتماد على المنطق الدينى ويكثر الاعتماد على العاطفة ، وقصائد هذا اللون من أجود شعر النقائض وأقربها إلى روح الشعر ، ولم تأت إلا متأخرة ، فلم نرها قبل ابن سحمان الشاعر الجدل ، الذي لا يسترسل على طبعه ، ولا يأتى من القول كل مدخل إلا في هذا الغرض حين يدافع بلسان حاد ، يدمغ بالحجة ويسلب الخصم شخصيته العلمية ، لينهال عليه بعد ، ضربا بالهجاء الساخن ، سخرية بعلمه ومنصبه ، مفرغا عليها ما شاء من صفات ونعوت لها وقع السوط الملتهب على الجسد العارى ، كتب النبهانى قصيدته الرائية يسب الإمام ويهجوه ، ومنها[٢] :

اشار رسول الله للشرق ذمة   وهم أهله لا غرو ان اطلع الشرا
اولئك وهابية ضل سعيهم   فظنوا الهدى شرا وظنوا الردى خيرا

وقال منها : هؤلاء هم أبناء سجاح التى ادعت النبوة ،

---

(١) قال بعض الباحثين (انظر الادب الحديث في نجد : ٢٦) ان الشعراء سموا بقولهم عن الهجاء وليس لهذا القول أي ظل من الصحة ، كما يتبين من النصوص المعروضة .

(٢) ديوان ابن سحمان : ٥٢ و ٦٥ .

فهي جدتهم كما كان مسيلمة الكذاب جدهم ، لكن ابن سحمان ، يرد عليه بأن مسيلمة ليس له نسـل ، وان سجاح هاجرت الى الشام ، فان كان لها من نسل فالنبهانى أقرب اليه من أهل نجد يقول [1] :

مسيلمة الكذاب ليس بجدهم	وليس له نسل يقرر أو يدري
ولا لسجاح ويـل أمك فاتئد	فما الفشر الا ماهويت به نشرا
وقد أسلمت والشام كان مقرها	فلو كان من لؤم لكنت به أحرى
وعلمك بالأنساب أعظم آيـة	على جهلك المردى بما قلته جهرا
أتحسب أنا ويـل أمك غفـلا	كأنباط من بالشام ماحققوا الأمرا

وإذ فند علمه بالأنساب وأبان له حقيقة جهله ، فليس ابن سحمان من أنباط الشـام ، ممن يقرون بعلم النبهاني الخاطىء للأنساب ، كما أن ابن سحمان يلمزه في نسبه ، ويقول أنت تدعى النسب الهاشمى ، ولم يقل أحد من الأشراف انك منهم بل أنت من غوغاء جذامة ، من الأنباط أهل فلسطين [2] :

فمن أنت منسوب إليه حقيقة	فنحن على شك ودعواك لاتجرى
ودعوى بني نبهان يحتاج أن يرى	بذلك ثبت ثابت عن بني الزهرا

ويهجـو أحدهم ويقول له : إنك لا تستحق الهجـاء ولا المديح ، لأنك ضائع بين الصفين ، فلست من أهل العلم ، ولا من

---

(1) ديوان ابن سحمان : ٥٢ والفشر : في البيت الثاني لا معنى لها ولعلها الفشر : بالفتح : الشؤم ، أو بالكسر : اللحاء أو القش : الزبالة .

(2) ديوان ابن سحمان ٦٥ .

أهل الأدب والشعر[1] :

فللمدح أقـوام وللذم عصـبة ... وأنت فكالشاة المضاعة تبعـر
وإن مـد باعـا للصناعة أهلها ... فباعك عنهـا لا محالة يقصـر
وإن سلكوا للعلم نهجا واللحجى ... فمثلك عـن منهاجهم يتأخـر

ومن أعنف هجائه وأقساه الميمية التى استخدم فيها التركيز على الأخطـاء الشخصية ، من عيوب وهفوات ، والأحسـاب والأنساب ، متخذا السخرية اللاذعة ، والهجاء الحار ، والألفاظ الجارحة ، وسنعرض شيئا منها لأنها تمثل قمة الهجاء عند ابن سـحمان ، نقض فيها الحجة العلمية بالحجة القوية ، ثم فرغ للسـباب ، فأجاد وأبدع وهو يقول أن خصمه ليس كفؤا لأن يهجى ، لكن الله أمرنا بقتل الفواسق في الحل والحرم ولو كان صاحب علم لهداه علمه ، ولو كان ذا عقل لنفعه عقله ، ولو كان يعمل بعلمه لندم ، لكنه فقاعة صابون[2] :

فظن الحيارى الناكبون عن الهدى ... به الخير لمـا أن غـدا متعمما
ودرس واستفتاه من كان جاهلا ... فظنوه حبـرا عالمـا مترسـما
فلم يعترف بالذنب منه وبالخطا ... كابليس لمـا أن أصر وأجـرما

ويتحـدث عن فضـل رجال الدعوة على هذا الرجـل ، واعتمادهم عليه ، واكرامهم له ، حتى إذا انقلبت الأمور قلب ظهر المجـن :

---

(١) ديوانـه : ٧٨ .

(٢) ديوان ابن سحمان : ١٦١ .

اما كنت يا هذا وآباؤك الأولى ... تقرون انا الذائدون عن الحمى
وظاهرتمونا برهـــة من زمانكم ... على ذاك لم تبدوا مقالاً مذمما
بأمــر إمــام المسلمين وجعــله ... اباكم رئيسـا قاضياً ومقدمـا
واوقف اوقافا فعشتم بفضلها ... إليكم حناناً ياذوى اللؤموالعمى
فمابالهذا الطعن فيالدينجهرة ... وتضليل منأمسى عليه مصمما
انافقت أم امر بدا لك رشده ... فأيدته جهــرا وكان مكتمــا ؟
..اتعرفـمنانتم؟ ولوكنتعارفاً ... لقنعت رأساً بالصفار معممــا
فأنتم بنوالعنقاء فيالعلم والحجى ... وهل أنتم الا لمنشام وارتمى(١)

وكان القوم قد استعدوا ابن رشيد حاكم حائل على علماء بلادهم ، الذين ينهجون نهج علماء الدعوة فقال لهم ابنسحمان :

فهــلا بعلم كان ذاك وحجــة ... تزيل صدى منكان بالحقمغرما

أي لم لم تقنعوهم بالعلم والحجة ، لا بالسلاح والسيف لكنه بدوره يهددهم ويتوعدهم بأمير قوى يربض على تخومهم ، يشارك علماء الدعوة أفكارهم :

فإن لم تنيبوا طائعــين لربكم ... فإن فتى منــا هماماً مقــدما
اخا ثقة حامي الحقيقة باسلاً ... جريئا إذا لاقى الكماة عثمثما

(١) شــام : نظر الى البرق أين يتجه ويمطر . ارتمى : رمى .

- ٢ -

وتتسم قصـائد المناقضات والهجاء الى ما تقدم ، بسمات أخرى منها ما يتصـل بشكلها ، ومنها ما يتصـل بمضامينها وأفكارها ، فمما يتصل بالشكل طول القصائد ، سواء الطول العرضي أو طول الامتداد ، ونقصـد بالطول العرضي اختيـار البحور الطويلة ، التفاعيل الكثيرة ، كالكامل ، والطويل .

والطويل بحد ذاته استأثر بكثير من القصائد ولجوء الشعراء إلى البحور الطويلة أمر له ما يوجبه ، وهم يعنون بتسجيل الأفكار وتضمين الحجج ، والآى ، والحديث ، وأقوال العلماء ، وأسمائهم ومذاهبهم ، وكل ذلك لا يتأتى في البحور القصيرة ، أما طول الإمتداد فان قصائد الدفاع في الغالب طويلة النفس ، وأكثرها طولا قصائد ابن سحمان الذى كان أكبر المدافعين ، وأكثرهم وأشدهم هجوما ، وهجاء ، وهو الشاعر الذى حاول أن يطوع الشعر للجدل العقيدي فقد بلغت داليته في الرد على دحـلان خمس مئة بيت ، وبلغت قصيدته الميمية السابقة أيضا خمس مئة بيت ، كما تجاوزت قصيدته في الرد على الملاحى سبع مئة بيت ومطلعهـا[1] :

---

(١) محمد الملاحى من قفار قرية قرب حائل ، كان صالحا متدينا ، له شـهرة بالعلم والفتوى في حائل ، له مواقف مشهورة من بعض معاصريه ، اتسمت بالقوة والصلابة توفي عام ١٢٨٠ هـ (زهر الخمائل : ٩) .

الا أبلغا عنى حنانيكما امرا جهولا تمادى في الضلالة والجدل

ولابن سحمان قرابة أربعين قصيدة ، في الدفاع عن الدعوة ، والهجوم على معارضيها ، بلغت ثلثى ديوانه ، أكثرها المطولات ، أما قصائد معارضي الدعوة ، فليس لدينا المعلومات التى تخولنا الحكم بطولها وبقصرها •

وطريقة النقائض تقوم كما هي في أعلى نماذجها على استعراض حجج الخصم واحدة فواحدة ، ثم يرد عليها كل واحدة على حدة ، وغالبا يورد نقض كل حجة بعد سياقها مباشرة ، ثم تساق الثانية وتنقض على هذا النسق ، وأحيانا يورد كلام الشاعر المناقض بحروفه ، فيكون جزءا من شطر ، أو شطرا ، أو بيتا كاملا،

وقصائد المعارضين أيضا لها نفس الأسلوب اعتماد الحجج العلمية ، إضافة الى الزخ العاطفى والهجو •

- ٣ -

وشيوع ألفاظ القذف الدينى من الكفر والإلحاد ، والفسق والزندقة ، والضلالة والردة ، فضلا عن ألفاظ القذف الشخصي ، التي تبدأ من تشبيه الشخص بالحمير والقرود وتنهى به الى الجعلان وما وراءها ، شيء يكثر تبادله عند شعراء النقائض ، قال ابن مشرف ، يكفر الترك لحكمهم بالدستور ويكفر من لم يكفرهم :

ويحكم بالدستور بين ظهوركم وحكم النبي المصطفى ليس يذكر
فمن لم يكفر كافرا فهو كافر ومن شك في تكفيره فهو أكفر

ومن شبه الله بخلقه فهو كافر ، ومن استهزأ بالدين فقد كفر ، ومن سب أهل التدين فقد كفر ، ومن شك في كفر من سبهم فقد كفر ، لقد أصبحت ألقاب الكفر وكلماته كالترومتر حساسة جدا ، تتحرك لتطلق على أي شخص ، لكبير الأشياء وصغيرها ، قال ابن سحمان[1] :

ومن لم يكفر كافراً فهو كافر ومن شك في تكفيره من ذوي الطرد
كذلك كفرنا غلاة روافض وأهل اعتزال مارقين ذوي جحد
وجبرية جارت ومرجئة غلت ومن كان غالي في ابتداع على عمد

والعثمانيون هم كفرة ، ويجب قتالهم ، وتستحل دماؤهم وأموالهم[2] :

وما الرفض للأتراك في غمراتهم هو الدين يامعتوه لو كنت مبصرا
ولكن بتكفير لهم وبشتمهم جهارا وتصريحا وغبا ومحضرا

لقد أصبحت ألفاظ القذف الديني ، كرة يتقاذفها المتلاكمون بالأيدي والأرجل ، قال عبد الباسط ، وهو من معارضي الدعوة يهجو الإمام محمد ابن عبد الوهاب[3] :

---

(١) ديوانه : ٧٤ .
(٢) ديوانه : ٢٥ ـ ٢٦ المحضر : الحضور .
(٣) منظومة في التعرض لسب الشيخ (مخطوط) : ٣ . العارضى : نسبة إلى المنطقة التى عاصمتها الرياض .

واحذر موالاة الذين قد اقتدوا   بالعارضي الخارجي الملحد
من قام في وادي حنيفة داعيا   لهم إلى شيطانه المتمرد
لا تعجبن لتابعيه فانهم   صم وعمي يقتدون بأرمد
يا كافراً يا غادراً يا فاجراً   يا باغياً يا غاوياً يا معتد

وقال آخر يكفر الإمام[1] :

بدت من غوى خامر الكفر قلبه   وأتباعه الجلف السواسيةالحمقى
بدا شرها من شر أرض وبقعة   وأبشعها مرأى وأكثرها فسقا

هذا دون شك أثر من دخول الشعر في الميدان ، واذا كنا نلوم شعراء الدعوة في اغراقهم في هذا ، فان اللوم أيضا يقع على شعراء المعارضة ، لقد كان كلا المهاجمين ، يستخدم ألفاظا لا ينبغي استخدامها ، وكان شعراء الدعوة كغيرهم مدفوعين دفعاً بقصائد معارضيهم ، فيعطونهم بنفس الصاع الذى اكتالوا به ، يقابلون سيئة بمثلها ، ومما زاد الطين بلة أن خصوم الدعوة استغلوا فترات ضعف الحكم السعودي ميدانا لهجماتهم وردودهم وتشفيهم ، فكان شعراء الدعوة في وسط معمعة فيها القلق النفسي ، والكآبة الاجتماعية ، يقذفون ويوجعون ليدفعوا بعض ما حاق بهم من كرب ، وينفسوا من أوجاعهم البعيدة والقريبة . وكل

(١) ديوان ابن سحمان : ٩٠ . الجلف ج جليف وهو الغليظ الجافي .

ذلك من باب الهجاء السياسي والديني والشخصي[1] .

ويختلط في النقائض العلم بالأدب ، والعقل بالعاطفة ، فيبتعد بك الشاعر حتى يغوص بك في أعماق كتب الأصول ، والعقائد ، والمذاهب ويضع لك أسماء العلماء والمحدثين كالصوى في القصيدة، فضلا عن الماعات أهل الفقه وتخريج علماء الحديث ، ثم ينتقل بك في رحلة أدبية تقطع خلالها القرون حتى ترى نفسك في نقائض جرير والفرزدق والأخطل ، أو نقائض شعراء الجاهلية ، وشعراء صدر الاسلام ، حيث القذف والسباب واستخدام الخيال ، والحجج ، والطعن في الأنساب والأديان والأخلاق ، والتحريش على الأعداء ، وتهديدهم بالقصائد القوية ، واستعداء الحكام عليهم ، في جو مشحون بالتوتر الدرامي .

(١) الحركة الادبية : ٧٩ ، ونود ان نشير الى ان هذا لا ينطلق من مفهوم دعوة الامام الذي يقول : نحن لا نكفر الا من اجمع العلماء على تكفيره وان كان بعض علماء الدعوة قد انزلقوا في قضية التكفير تماما كما انزلق معارضوهم وكما انزلق الشعراء ، فان ذلك لا يعنى بالضرورة مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسالة ولقد كان الامام اكثر حذرا من ابن تيمية في قضية التكفير ولكن كثيرا من العلماء المتاخرين تاثروا باسلوب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

٤

شعر المديح

- ١ -

وفي شعر المديح والثناء أشاد الشعراء بعلماء الدعوة وأولهم الشيخ محمد وآله ، وأتباعه من حماة الدعوة والعلماء المدافعين عنها في خارج الدولة وداخلها ، مسهبين في الحديث عن سعة علمهم، وتحقيقهم ، وتحريهم ، واكبابهم على الدرس والإملاء لنشر الدعوة بالرسائل والكتب ، ومديح علماء الدعوة يأتي في قصائد مستقلة قليلا ، ويأتي كثيرا ضمن أغراض شتى كقصائد الحرب والحماسة ومديح الأمراء ، وهجاء أعداء الدعوة ، والمناقضات وغيرها ، قال ابن غنام يصف أثر الامام[1] :

فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها ... وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا ... وقد كان مسلوكا به الناس ترتع

وقال ابن مشرف[2] :

لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جد في إخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت ... فأكرم به من عالم ومجدد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمه ... كما قدأمات الشرك بالقول واليد

وقال ابن سحمان[3] :

---

(١) تاريخ ابن غنام : ٢/١٥٥-١٥٦ . وعنوان المجد ١/١٠٥-١٠٦. طامس : ذاهب
(٢) ديوانـه . (٣) ديوانـه .

فجاهد في ذات الإله ولم يخف عداوة من قد خالفوه على عمد

ومدحوا ديار أهل العلم ، ومجالس درسهم ، وعكوفهم ، بين المحابر والأقلام ، قال عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن[1] :

وفيها الهداة العارفون بربهم ذوو العلم والتحقيق أهل البصائر
محابرهم تعلو بها كل سنة مطهرة أنعم بها من محابر
مناقبهم في كل مصر شهيرة رسائلهم يغدو بها كل ماهر
وفيهم من الطلاب للعلم عصبة إذا قيل من للمشكلات البوادر

وساند الدعوة علماء كبار في العراق ، واليمن ، والهند ، فقام أعداء الدعوة في الأحساء والحجاز بهجوهم ، فرد عليهم شعراء الدعوة يمدحون ويشيدون قال ابن سحمان يمدح صديق حسن خان[2] :

وصديق أولى بالصواب وبالهدى وهل كان إلا جهبذا أو مفهما ؟
أليس الذي ينهى عن الشرك جهرة ويأمر بالتوحيد أمراً محتما ؟
ويتلو من الآيات والسنن التى أتت عن رسول الله من كان أعلما
دلائل تجلو زيغ كل مشبه فلله ما أبدى وأجلى وعلما

وقال يمدح محمود شكري الألوسي[3] :

---

(1) رسائل عبد اللطيف الشيخ (مخطوط) : ٢٢٨ - ٢٣٠ . التذكرة : ١٩٩ - ٢٠٠ .
(2) ديوانه : ١٦٩ .
(3) ديوانه : ١٣٦ . كان عبد اللطيف قد توفي قبل إتمام رده على داود ابن جرجيس فاتمه الالوسي .

فلله من حبر هزبر محقق سما في العلى بالرد للغاية القصوى
لقد نصر الإسلام من بعد أن سعى لاطفائه داوود من بفيه عدوا
فزيف محمود سفاسط مكره وعدوانه لا بالتعسف والدعوى
ولكن ببرهان وأوضح حجة على الخصم من أدلى بها لازما يقوى

- ٢ -

ومديح رجال الدعوة من آل سعود الذين قادوا المعارك ، وفتحوا البلدان أمام امتداد الدعوة ، ولقد كان الأمراء يجيزون شعراء المديح ، لأنهم في مرحلة أشد مايكونون حاجة إلى الدعاية ، للدعوة ورجالها وأفكارها ، وليس لدينا نص يدل على هذه الإجازة ، لكن كثرة مديح الشعراء لفيصل بن تركي ، توحي بذلك ، فضلا عن وفود شعراء من خارج الجزيرة للمديح كعبد الجليل البصري ، الذي وفد على فيصل بن تركي ، وامتدحه[1] وكان فيصل معروفا أيضا عند شعراء النبط بالكرم حتى سموه «أباهلا» وهي محرفة عن أهلا وسهلا لبشاشته وترحيبه بهم ، وبالمحتاجين والفقراء[2] .

وأول صفة ركزوا عليها مديحهم نصرة الدعوة ، وايواء إمامها ، والتفاني في بث جيوشها . قال عثمان بن منصور يمدح تركي بن عبد الله[3] :

(١) نزهة الابصار : ٧٤٥/٣ و ٧٨٥/٣ .
(٢) اربت مدائح ابن مشرف للامام فيصل على عشرين قصيدة انظر في ديوانه ٤٤ و ٤٥ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٦ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٧١ و ٧٢ و ٧٧ و ٨٢ و ٨٤ و ٨٦ و ٨٨ و ٩١ و ٩٤ و ٩٦ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٥ .
(٣) عنوان المجد : ٦٥/٢ - ٦٦ .

ترى لابن عبد الله تركي صولة | توارثها من والد الخير تعرف
وعم وجـد قوما الدين بيننا | محمد مع عبد العزيز المخلف
أئمــة صدق يقتفون سبيلهم | عليهم سلام الله غض مضعف

وقال ابن مشرف يمدح فيصلا[1] :

هم نصروا التوحيد بالبيض والقنا | فنال المنى بالنصر كل موحد
وآووا إماما قــام لله داعيــا | يسمى بشيخ المسلمين محمد
... فوازره عبد العزيز ورهطه | على قلة منهم وعيش منكد
فما خاف في الرحمن لومة لائم | ولم تثنه صولات باغ ومعتد
وكم غارة شعواء شنوا على العدا؟ | وكم طارف منهم حووه ومتلد؟
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا؟ | وكم هدموا بنيان شرك مشيد؟

ووصفوهم بالصفات التي عرف الشعراء إتقانها منذ الجاهلية من الشجاعة ، إلى الكرم ، إلى العقل ، إلى المدح بالعدل والحلم، قال ابن مشرف في مديح فيصل[2] :

تراه لفعل المـكرمات مشمرا | إذا الجود والإقدام للناس أقعدا
يخوض لظى الهيجاء فردا وكفه | سحاب ندى يهمي لجينا وعسجدا
يعامل من يرعى برفق ورحمة | ويقمــع منهم من طغى وتمردا
اذا اجتاز قوم بالنوال اجازهم | فعاشوا بخير كلما راح أو غدا

وقال ابن نفيسة في آل سعود[3] :

(1) ديوانه : ٦٢ .
(2) ديوانــه : ٥٥ .
(3) التذكرة : ٥٨/٢ في الاصل فلم يدر مجتدى في البيت الثالث .

سراع إلى الجلى بطاء عن الخنا ... ميامين هم ذخر لمن ضده الدهر
إذا رفدوا أغنوا،وإن عاهدوا وفوا ... وإن سالموا سروا وإن حاربوا ضروا
وإن سئلوا جادوا بما في أكــفهم ... فلم يدر [معطيهم] متى خلق الفقر

وقال سليمان بن سحمان يمتدح الإمام عبد الله بن فيصل مركزا على صفة الشجاعة(١) :

حامي الحقيقة عبدالله من خضعت ... منــه الملوك جميعا أي اخضـــاع
مذكى ضرام وقود الحرب إن خمدت ... ماض على الهول صلت غير ضعضاع
يجول في الناس يوم الروع معتضدا ... بصارم يختلي الأعنـــاق قطـــاع

وربما بالغ الشاعر في المديح ، وهذا واضح عند ابن عثيمين خاصة كقوله في الملك عبد العزيز (٢) :

ليت الذى سكن الثرى ممن مضى ... من أهل بدر والبقيـــع المنور
نظروا صنيعك في المدينة والتى ... يهوى إليهـــا كل أشـــعث أغبر
كى يشهدوا أن الفضائل قسمت ... بالفصل بين مقـــدم ومؤخـــر
وليشكر الثقـــلان ما أوليتهم ... من أمنهم من بعد خوف أعسر
ظفر الحجاز من الزمان بغبطة ... بعد النبى وصحبه لم تخبـــر

- ٣ -

والشعراء في مديحهم يعبرون عن روح الإعجاب والمشاركة في المبدأ ، ولذلك كثروا حـــول الامام فيصل بن تركي والملك

---

(١) ديوانــه : ٣٠٧ .
(٢) ديوانــه : ١٠٨ ــ ١١٥ .

عبدالعزيز[1] ، أما عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود ، فلم يحظيا بكثير من الشعر ، على سعة الملك ، وبطولة ، وشجاعة ، لأن الشعر كان إذ ذاك ناشئاً . والشعراء على مشاركتهم بالمبدأ يلحون في طلب الجائزة أحيانا كما يقول ابن مشرف[2] :

ودونكها منظومة عبقرية	تناثر من أصناف أبياتها الدر
وبكر عروس قد تصدى لزفها	محب لكم أدنى وسائله الشعر
فعجل قراها فالضرورة أحوجت	وكاد يكون الفقر لولا الهدى كفر
وانجز له الوعد الذى قد وعدته	فأمنيته والوعد ينجزه الحر

ويقول ابن عثيمين وقد ركب ناقته إلى الممدوح الملك عبد العزيز[3] :

فارقتهم امترى أخلاف سائمة	يسوقها واسع المعروف منان
لعل نفحة جود من مواهبه	يروى بها من صدى الإقتار عطشان
أريش منها جناحا حصه قدر	شكا تساقطه صحب وإخوان

الشيء الذي تؤكده أن هذا الشعر لم يقل خالصا لوجه التكسب ، لما في أثنائه من عرض لمشكلات الأمة ، وتعرض لنواحي

---

(1) اكثر ديوان ابن عثيمين في مديح عبد العزيز ، ومثله ديوان ابن بليهد الذى تجاوزت القصائد التى امتدح بها ثلاثين قصيدة .

(2) التذكرة ١/١٣٤ والديوان ٥٤ و ٦٤ .

(3) ديوانه : ٥٣ ـ ٥٤ أمترى : استدر . حصه : حلقه .

السياسة ، وحث للإمام على بعض الأمور، ونصيحته ، وعدم المبالغة في أغلب الشعر وترك التطبيل الفارغ ، ووضوح شخصية الشاعر. وقد كانت قصائد المديح تحفل دائما بوصف المعارك ، والفتوح ، وأيام النصر، والهزيمة ، وبالشعر السياسي ، الذي يعرض مشكلات الأمة أمام الراعي ، ويحرضه على القتال ، ويدعوه إلى ترك اللين، واتخاذ الحذر ، وهذه الأفكار تشكل غرضين مستقلين : وصف المعارك والفتوح ، والشعر السياسي وسنعرض لهما مفصلين .

٥

وَصفُ المعَارك والفتوح

واكب الشعر الحركة منذ بدايتها ، وكان أول ما قيل من الشعر في وصف المعارك ، والفتوح ، والتهاني بالنصر ، وأول الشعراء ابن غنام الذي عاصر عهدي محمد بن سعود ، وعبدالعزيز ابن محمد ، ثم ابن مشرف الذي عاصر الدولة السعودية الثانية ، وخلفه ابن سحمان الذي أدرك الدولة السعودية الثانية ، وفترة حكم آل رشيد ، وأول الدولة السعودية الثالثة ، وأخيرا استقرت الراية في يد محمد بن عثيمين الذي أدرك كل أحداث الدولة السعودية الثالثة ، وإلى جانبه شعراء آخرون صغار كابن بليهد ، وابن نفيسة .

واكب ابن غنام فتوح الدعوة وحروبها منذ فتح الرياض عام ١١٨٧ هـ الذي قال فيه قصيدة مطلعها[١]

كشف الحق ظلمة الإغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس

وكقوله يهنىء الأمير سعودا بقتل ثويني وفتح الأحساء ويصف معاركها عام ١٢٠٦[٢] هـ :

---

(١) تاريخه ٨٦/٢ .
(٢) تاريخه ٢٣٧/٢ .

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر ... وديجور ليل الشرك مزقه الطهر

ووصف ابن مشرف معارك الإمام فيصل مع بدو العجمان، وتنكيله بهم[1] :

وكم قد أغاروا في الدروب وكم عثوا ... وكم قطعوا سبل الحجيج وخوفوا
فقال ادخلوا في السلم طرا واسلموا ... وإلا فحرب وعده ليس يخلف
واقسم لا نعطى على ديننا الرشا ... وما عندنا إلا حسام ومصحف
فمن لم يقومه الكتاب اقامه ... حدود الظبا والسمهرى المثقف
فهل يستقيم الدين إلا بدعوة ... إلى الله يتلوها سنان ومرهف
... فلما أبوا إلا الخلاف تمردا ... رماهم بما يؤذى النفوس ويتلف
بجيش لهام حشوه الخيل والقنا ... تهب رياح الموت منه وتعصف

ومدحه أيضا حين قضى عليهم القضاء المبرم بقصيدة أخرى[2]

فمن لم يكن عن غيه الوحي زاجراً ... له كان في ماضي الحديد له زجر

وبعده ابن سحمان، واكب أوائل فتوح الملك عبد العزيز، قال يصف الاستيلاء على القصيم عام ١٣٢١ هـ[3] :

معالى الامور الساميات المعالم ... لأهل التقى والجود أهل المكارم
وبالحزم للأعداء بالعزم في الوغى ... تنال العلى بالمرهفات الصوارم

(١) ديوانه ٨٣ .
(٢) التذكرة : ١١٥/١ .
(٣) التذكرة : ١٥/١ .

ويصل وصف المعارك الى قوته وجودته عند ابن عثيمين ، قال في فتح حائل عام ١٣٤١ هـ [١] :

ويوم كسوت الجو فيه قساطلا   أعاد النهار المشرق النور مظلما
ملأت من الأسماع رعدا سماؤه   على كل باغ قد طغى يمطر الدما
فما تنطق الأسياف إلا تصلصلا   ولا تنطق الأبطـال إلا تغمغما
وكم خدجت فيه الجياد مهارها   وعاد كميت اللون منها مسوما
ولم يعرف الناعى الحميم حميمه   غـداة رآه بالغبـار ملثمـا
فانأصحروا فالخيل قيدشريدهم   وان حصنوا ذابوا لحوما وأعظما
أقمتبه عرش الهدى بعدماهوى   وقومته بالبيض حتى تقومـا

(١) ديوانه : ٢٥٦ . التصلصل : الصليل ، صوت السيوف ، تغمغم : اصوات غير مفهومة (٢) خدجت : ولدت ناقصة لم يكمل خلقها .

٦
الشّعر السّياسيّ

- ١ -

والشعر السياسي الذي يحرض على الحروب ، ويدعو الحكام إلى الحزم ، وأخذ الحيطة من الأعداء في الداخل والخارج ، وترك الهوادة واللين في معالجة أمور الأمة ، وجد كثيرا مثلما وجد منه الشعر الذى يعرض قضايا الأمة أمام الحكام ، ويطالبهم بإصلاحها ، وفي عهد الإمام فيصل كان لسان ابن مشرف قويا حادا لا يهاب ، قال يشكو عمال الأحساء وجورهم في تقدير الزكاة [١] :

إليك شددت العيس أشكو ظلامتي	فقد رام خسفى حاسد وظلوم
وجار علي العاملون بخرصهم	وظلم الورى يوم الحساب وخيم
وإنك للمظلوم كهف ومعقل	يلوذ به مستضعف ويتيم

أما تحريضه الإمام فيصلا على العجمان فقوى شديد ، شدة هجمات البدو (العجمان) على هذا الريف الآمن ، والشاعر في كل قصيدة من قصائده يدعو الإمام إلى تطبيق القوة ، وترك الهوادة [٢] :

---

(١) ديوانه : ٩٧ . (٢) ديوانه : ١٠٠ .

ما جرد الصمصام ذو همـة عند اعوجاج الأمر إلا استقام
والمجـد لا يدركـه مولـع بلثمـه الحسناء ذات اللثـام

وهو يعرض الموضوع في الأسلوب الساخر[1] :

اساءوا جميعا في الإمام ظنونهم فقالوا ضعيف الجند أخلاقه حصر
نفـير على بلدانه ونخيفهـا ليعرفنا الوالى وينمو لنا الوفر
فان لم نصب ما قد أردنا فإنه صفوح عن الجانى ومن طبعه الصبر

وفي قصيدته البائية يتحدث عن حبيبته الحسناء النجدية ، التى قطعت علاقتها به ، وقالت أنت في بلد مخوف ، وأنا في ربى نجد الآمن ، ولا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا انه قصد بهذه الكناية السياسية شيئا ذا بال ، كما قال[2] :

أنا في ربى نجـد وأنت ببـلدة أحاطت بها الأعداء من كل جانب
يغيرون في أطرافهـا وسروحهـا جهارا ولا يخشون سوطا لضارب
يقولون سيروا إن ظفرتم بنهبـة على رسلكم لاتحذروا درك طالب[3]
وإن تسفكوا فيها الـدماء فإنها لكم هدر لا تحذروا من معاتب

ويتساءل أين حماة الديار ، أين الحكام ؟ :

فياليت شعرى هل سراة حماتها نيام فهم ما بين لاه ولاعب ؟
أم الحد منهم كل أم زندهم كبا ؟ أم القوم غروا بالامانى الكواذب ؟
لقد كان تخشى بأسهم أسد الشرى فصارت بهم تعثو صفار الثعالب

(١) ديوانه الحصر : الضيق والاحتباس وقد عبر بالمصدر مكان اسم المفعول والمقصود : ضيقة .
(٢) التذكرة ١٠٩/١ - ١٠٠ . (٣) النهبة مصدر كالنهب .

ثم يرسل الحكم والامثال ، التى اعتاد أن يوشح بها أفكاره ، في اسلوب الاستنهاض والتحريض :

وأنى يحوط الملك إلا سميدع | يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب
ولا دين إلا بالجهاد قوامه | ولا أمن إلا بعد عدل القواضب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى | وجر العوالى فوق مجرى السلاهب
فكيف تنام العين منك عن العدى | وقد أوقدوا للحرب نار الحباحب(١)
فبالبيض مع سمر القنا تدرك المنى | وبالجود والاقدام نيل المطالب

وقد كانت هذه القصيدة مؤثرة جدا في نفس الإمام فيصل، فأرسل إثرها جيشا بقيادة ابنه عبدالله قضى على العجمان ، وقتلهم تقتيلا ، لم تقم لهم قائمة بعده .

- ٢ -

والقضية الثانية ، أو المرحلة الثانية من مراحل الشعر السياسي الذى قيل إبان ولاية عبد الله بن فيصل ، وأكثر من قاله ابن سحمان الذى دعاه إلى القوة ، والحزم قبل فوات أوانهما ، والحذر من الأعداء المحيطين به من قريب ومن بعيد ، مهما كانوا وكانت وشائجهم التى يدلون بها (٢) :

وإياك أن تغتر منهم بمنطق | لبيب فان السم قد يمزج الشهدا
فمن ما مضى من مكرهم وخداعهم | دليل وارشاد لمن يتبع الرشدا

(١) الحباحب : ذباب ذو الوان . يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج ويضرب المثل بنار الحباحب في الضعف .
(٢) ديوانه : ٢٨١ .

ويحرضه على الاعداء المصرحين بالعداوة ، ليقضى عليهم قبل أن تشتد أنيابهم وأظافرهم فيغزونه في عقر داره [1] :

أدم بالعوالى الطعن في الضد إن جدا وبالبيض قدا للعدا [تعتل المجدا]
وليس ينال الفخر عاشق راحة ومستوطىء فرش التكاسل ما اعتدا
فعجز مداراة العدا بعد ما بدت مظاهرة منهم إذا لم تجد بدا

ثم يشد انتباه الإمام بالحكمة العسكرية الهامة :

ومن لم تخف منه العدا في بلادها اخافته في أوطانه وانتضت غمدا(٢)

وتأتى المرحلة الثالثة مرحلة تقلص النفوذ السعودى ، والخلاف بين أولاد فيصل، ورغم ان ابن سحمان عرف بصراحته فيما يعتقده إلا أننا لا نرى له شعرا في ذلك ، وربما أسقطه من ديوانه عند طباعته أول مرة ، وربما لم يقل شيئا ، وهو رجل لا شأن له بالسياسة ، وليس له مكانة تحميه من السيف المصلت ، في فترات الحكم المتعاقبة ، إن تحيز لأحد ، لكن رجلا آخر كان أقوى جانبا من ابن سحمان ، لم يكن أحد من الامراء يستطيع أن يصلت في وجهه السيف ، قد صور لنا هذه الحقبة المظلمة القاسية من التاريخ ، قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، يلوم عبد الله ابن فيصل الذى استعان بأعدائه الأتراك ، ويدعو على العلماء

---

(١) ديوانه : ٢٨١ وانظر قصائده التحريضية : ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣٠٧ . وفي الأصل تعتلى مجدا .

(٢) انتضت : نزعت وخلعت .

الذين رأوا أن بيعته باقية في الأعناق [(١)] :

يارب واحكم بيننا في عصبة ... شدوا ركائبهم إلى الشيطان

سلوا سيوف الغي من أغمادها ... وسعوا بها في ذلة وهوان

صرفوا نصوص الوحي عن أوضاعها ... وسعوا بها في زمرة العميان

وقضوا بأن العهد باق للذي ... ولي الولاية شيعة الشيطان

وقضوا له ــ بالجزم ــ أن متابه ... قد هد ما أعلى من البنيان

وطلابه للأمر والحرب الوبى ... ء على طريق العفو والغفران

وفي قصيدته الثانية يشرح حالة الخلاف السياسي ، ويذم الأخوة الثلاثة الذين اختلفوا على الحكم ، وخاصة عبد الله الذى زاد القضية تعقيدا لما استعان بالأتراك [(٢)] :

وجر زعيم القوم للترك دولة ... على ملة الإسلام فعل المكابر

وآخر يبتاع الضلالة بالهدى ... ويختال في ثوب من الكبر وافر

وثالثهم لا يعبوء الدهر بالتى ... تبيد من الاسلام عزم المذاكر

ويمضى في تقريعه لهم خاصة عبد الله ، ويتنبأ له بالنهاية الأليمة حيث استجار بظلم الترك كمجير أم عامر :

---

(١) الدرر السنية : ١٩٤/٧ ويلاحظ في القصيدة أن الجامع علق على البيت الاخير منها : هذا آخر ما وجد من المنظومة ، ويمكن أن نستنتج من هذا التعليق ان للقصيدة بقية والا فما معنى الاشارة هذه ، وقد ذكر منها حوالي تسعين بيتا ، وان هذه القصيدة قيلت في ظروف لا تساعدنا رسائله المثبتة في الدرر على شرحه ربما كان في أواخر الخلاف بين آل سعود .

(٢) الدرر السنية : ١٩٠/٧ .

فقل للغوى المستجير بظلهم ستحشر يوم الدين بين الأصاغر
ويكشف للمرتاب أي بضاعة أضاع وهل ينجو مجيرام عامر؟

لقد أحاطت بالرياض عاصمة الدعوة ثلاث بلايا ، في واحدة منها مهلكة فكيف بها مجتمعة ، اختلاف الأسرة الحاكمة ، وهجمات الشمرى محمد بن رشيد ، وحملات الدولة التركية ، وهذا أحمد بن عيسى يطلق صرخته في الظلام الدامس إلى أولاد فيصل ويحثهم على نبذ الخلاف ، في وجه الخطر الداهم [1] :

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر؟ متى ينتهض للحق منكم عساكر؟
متى تتجدد دعوة حنفية يكون لها بالصدع ناه وآمر ؟
فحتى متى هذا التواني عن العلى كأنكم ممن حوته المقابر ؟
ألم يك للأسلاف منكم مناقب ألم يك للاخلاف منكم مفاخر ؟
أيا مفخر العوجا ذوي البأس والندى أجيبوا جميعا مسرعين وبادروا

والمرحلة الرابعة في عهد الملك عبد العزيز ، نجد الشعر السياسي يقف مساندا الملك عبد العزيز . ولابن عثيمين دور كبير في هذا المجال ، قال في صلح عقده الملك ، لكن القراء

(1) عقد الدرر : ٧٨ و التذكرة : ٢٠١/١ ، وقد جزم الشاعر ينتهض وتتجدد دون جازم لإقامة الوزن واهل العوجاء يقصد بهم اهل الدرعية المدينة التى أصبحت احدى قرى الرياض ، التى أخذ منها مدلول الكلمة، فاصبح يطلق على أهلها أهل العوجاء وهو لقب يفتخر به حماة الدعوة ، ماخوذ من رواية مفادها ان الامام محمدا دعا الناس إلى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وهى كلمة لم يجد الناس العوام آنذاك نطقها فضلا عن فهم مدلولها ، وتطبيقه فقالوا هذه كلمة عوجاء اى ملتوية فقال أهل الدرعية نحن أهل العوجاء .

والإخوان ذموه ، وألحوا بتخطئته [١] :

إذا عقد الصلح الإمام لكافر ... يرى أنه لا يستطيع يطاوله
وفيه لدنيانا صلاح وديننا ... ودفع أذى عنا تخاف غوائله
فذا جائز في الشرع من غير شبهة ... فيا ليت شعرى هل يفند قائله

كما دعا الناس من بايع منهم ان يثبت على البيعة ، ومن لم يبايع إلى البيعة لهذا الإمام العادل [٢] :

علينا لك الرحمن أوجب طاعة ... بنصر وبرهان تلوح دلائله
فقال أطيعوا الله ثم رسوله ... وذا الأمر يدريه الذى هو عاقله
فيا معشر القراء دعوة صارخ ... بكم إن يكن فيكم حليم نسائله

وظهر دور الشعر ومشاركته أثناء مشكلات الإخوان ، ويبدو أن البدو في الجزيرة لا ينفكون ، يعيدون سيرة أسلافهم العجمان مع جد الملك عبد العزيز فيصل بن تركى ، لم يتغير شيء منهم إلا العمامة والاسم فهؤلاء الإخوان . وأولئك العجمان ، والروح واحدة ، هى روح البداوة التى لا تلين لحاكم ، وهذا ابن عثيمين أيضا يدعو القراء إلى الهدوء والطاعة [٣] :

---

(١) الديوان : ٢٤٣ - ٢٤٥ ويلاحظ ان ابن عثيمين يشير الى بعض الحوادث في تاريخ الملك عبد العزيز ، ذات الجوانب الغامضة ، وقد آثر الشارح للديوان اهمال هذه النقاط وعدم توضيح مناسباتها ، أو شرحها شرحا عابرا لا يكاد يبين .

(٢) ديوانه : ١٤٣ - ١٤٥ .

(٣) ديوان ابن عثيمين ١٢٣ - ١٢٤ يعرق : يستاصل العرق .
وقد قطع الشاعر همزة الافتراق لضرورة الوزن .

فيا معشر الإخوان دعوة صارخ ... لكم ناصح بالطبع لا متحذلق
يود لكم ما يمتنيه لنفسه ... ويعلم ان الحب في الله أوثق
تحاموا على الدين الهدى مع امامكم ... وكونوا له بالسمع جندا توفقوا
وإياكم والإفتراق فإنه ... هو الهلك في الدنيا وللدين يوبق

ويقاسمهم بالإيمان المغلظة أنه لا يرى أصلح ولا أعدل من هذا الحاكم ، الذى رفضوه :

فوالله ثم الله لا رب غيره ... يمين امرىء لا ممتر يتملق
ولا قاصد يوما بقولى مكانة ... ولا عاجلا للدين والسمت يعرق
لما علمت نفسي على الأرض مثله ... إما ما على الإسلام والخلق يشفق
عسى أن نراها سيرة عمرية ... يدين لها غرب البلاد ومشرق
ففيه ولا نعدمه تبدو مخايل ... بها العز للاسلام والملك يورق

ولا يفتأ الشعراء يحرضون الملك على عدم الهوادة مع الأعداء ، وعدم الوثوق بمن غدر ، وعدم الاطمئنان إلى الأشرار ، والاعتماد على الرجال الفضلاء ، ذوى العناصر المنجبة في بناء الدولة ، قال ابن سحمان (١) :

ومن كان قدما قد أساء فأسقه ... ذعافا لكى يدرى وينزجر اللد
وينحسم الداء العضال وينتهى ... ذوو الغى إن راموا فسادا أو ارتدوا
وأحسن فبالإحسان تستعبد الورى ... وتملكهم والحر يملكه الرفد
ولا يملك الأعراب ذاك لأنهم ... كما قيل أصنام لها الكسر والهد
فخفهم وجانبهم ولا تأمننهم ... وألف بنى الأحرار إذ هم لك الجند

(١) ديوان ابن سحمان ٢٨٥ .

وفي ولاية العهد دخل الشعر المعركة ، فأول من اشاع أو طلب ولاية العهد لسعود في مجامع الناس ــ ابن عثيمين حينما قال يخاطب الملك عبد العزيز عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م)[١] :

واشدد عرى الدين والدنيا بمؤتمن ... من عنصر السادة الغر الميامين
تلتك في خلقك السامى خلائقه ... تلو المصلى المجلى في الميادين
فرع الائمة والاذواء من يمن ... أهل القباب المطاعيم المطاعين

ويتبين من ذلك ان ابن عثيمين كان أكثر الشعراء عناية بالجانب السياسي ، في مديحه ودفاعه عن الدعوة ، بينما نجد ابن سحمان يقف في الجانب الفكرى[٢] .

---

(١) ويمكن ان يكون شعره هذا بايعاز من سعود ، أو باشارة من عبد العزيز على طريقة معاوية مع مسكين الدارمى ، ويؤيد الاخير قول ابن بليهد عام ١٣٥٢ هـ حين بويع سعود بولاية العهد .

رأيت بعام الاربعين اشارة بها ... عرفت منك الولاية والعهد

انظر الابتسامات : ١٣٠ ـ ١٣١ ، ويقصد الشاعر بالأذواء من يمن أخوال الملك سعود آل عرعر .

(٢) الحركة الادبية ٨٠ .

٧

شعر البكاء والرّثاء والشكوى

- ١ -

وشعر البكاء ، والرثاء ، والشكوى ، أغراض عديدة ، منها ما بكى المدن والحوادث والكوارث ، وما رثى العلماء والزعماء ؛ وما شكى تغير الزمان ، وتفرق الصحب ، وشتات الشمل ، وهي ثلاثة أغراض ، تفارقت في أسمائها ومدلولاتها ، وتآلفت في شعر الدعوة ، فلم يكن مناسبا ، الفصل بينها ، لا سيما وهى أغراض متشابهة يمسك بعضها بحجز بعض ، فقصائد بكاء المدن التى يتكون من البكاء غرضها الأول ، ترثى العلماء ، وتبكى شتات الأمة ، وتشكو بأساء الحياة ، ومثل ذلك يقال عن قصائد الرثاء ، والشكوى .

أما بكاء المدن والدول ورثاؤها فقد بدأ أول مرة مع كارثة الدرعية العصيبة عام ١٢٣٣ هـ ، التى رثاها الشعراء ، وتحدثوا عن هول الكارثة ، وبطش الظالمين بها وكان لسقوطها وقع مخيف على الأذهان فقد قتل الغزاة دون رحمة ، وأجلوا أهلها ثم نسفوا

بيوتها نسفا ، حتى لم تعمر بعد[1] ، ومن الشعر الذي قيل فيها قصيدة ابن مشرف [2] :

أليل غشا الدنيا أم الأفق مسود؟ أم الفتنةالظلماء قد أقبلت تعدو؟

لكن القصيدة التى اشتهرت على الألسن ، وبكت الكارثة حتى أبكت الناس قصيدة عبد العزيز بن حمد بن ناصر المعمر ، التى صور فيها بطش الفاتحين[3] :

وكم قتلوا من عصبة الخير فتية	هداة (وضاء) ساجدين وركعا؟
وكم دمروا من مربع كان آهلا؟	فقد تركوا الدار الانيسة بلقعا
فاصبحت الاموال فيهم نهائبا	واصبحت الأيتام غرثى وجوعا
وفر من الإخوان من كان قاطنا	وفرق الف كان مجتمعا معا

ثم دعا الناس إلى الصبر على قضاء الله ، ونبذ اليأس ورأب

---

(١) زعم بعض الباحثين المحدثين (انظر الحركة الأدبية : ٢٦٧ - ٢٦٨) أنه لا يوجد من رثاء المدن إلا قصيدة واحدة في الأدب السعودي كله هى رثاء الدرعية لابن مشرف التي مطلعها :

يا غربة الدين فاعجب من تغربه عند المصدق فضلا عن مكذبه

وهذا الكلام فيه تعميم لاصحة له فرثاء المدن سواء في سقوط الدولة السعودية الأولى ، أو الثانية كثير كما سنعرض له . على أن القصيدة التى زعمها الكاتب « من رثاء المدن وانها قيلت في سقوط الدرعية عام ١٢٧٩ هـ في عهد الامام فيصل بن تركي » انما قيلت في الشكوى ، لا في رثاء المدن وسقوط الدرعية إنما كان عام ١٢٣٣ هـ في عهد عبد الله بن سعود . وقال : « لا نجد شاعرا وصف نجدا ، وما آل اليه أمره بعد معاركه مع المصريين » والشعر الذي يأتى في هذا الفصل ينفى هذا الرأي .

(٢) ديوانه ٥٠ - ٥١ .

(٣) عنوان المجد ٣٧/٢ ، وهو أديب فقيه حسن السمت والسيرة ، ذو شهرة بالعلم والدين توفي عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ - ١٨٢٩ م) .

الصدع ، وانتظار الفرج [1] :

ألا أيها الإخـوان صبرا فإنني	أرى الصبر للمقدور خيرا وأنفعا
ولا تيأسوا من كشف ماناب إنه	إذا شاء ربى كشف ذاك تمزعا
عسى وعسى أن ينصر الله ديننا	ويجبر منا اليوم ما قد تصدعا
ويعمـر للسمحا ربوعا تهدمت	ويفتح سـبلا للهداية مهيعـا

ويبـدو أن القصيدة قيلت في ساعة النكبـة ، حيث جثث القتلى ، وأشـلاء الجرحى ، ودموع الأحياء من عراة وجوع ، ومذعورين وفارين ، لأن الشاعر يجهش بالبكاء ويلح في الدعاء إلى البارى أن يفرج البلاء ، ويغيث الأحياء ، ويغفر للأموات :

فيا محسناً قد كنت تحسن دائماً	ويا واسعا قد كان عفوك أوسعا
أغثنا ، أغثنا ، وادفع الشدة التى	أصابت وصابت واكتشف الضر وارفعا
وجد ، وتفضل ، بالذي أنت أهله	من العفو والغفران ياخير من دعا [2]

- ٢ -

أما شعر النكبة الثانية ، فترة التاريخ الأسود ، من الخلاف الدامي ، في داخل البـلاد ، والهجوم المتتابع من أطرافها ، حيث البدو الذين يصطلون على نار الفتنة أينما شـبت ، والجيوش الجرارة تنقض من العراق إلى الأحساء ونجـد ، ومن مصر إلى الحجاز والمخلاف وعسير ، فضلا عن الحكم الشمرى الذى كان

(١) عنوان المجـد ٢/٣٧ و ٣٨) . وانظر ص ١١٦ من الكتاب وضاء جمع وضيء وفي الأصـل : وضـاة .

(٢) كذا في الأصل ولعلها تحريف عن : يافوث من دعا .

شره أكثر من خيره ، في غالب الأحوال ، فكان شعر الشكوى ، والبكاء ، والرثاء ، شكوى كل بلايا الأمة من الداخل والخارج ، واضطراب الأمن وذهاب العلم ، وتفرق الأخوان ، ودمار البلاد ، وكثرة الأمراض الاجتماعية والسياسية ، التناحر على الرياسة ، والشقاق والحسد ، ووقوع العلماء بعضهم يلغ في الآخرين ، وينال منهم ، قال ابن مشرف يصف فشو الأمية وغلبة الجهل [1] :

أما ترى الجهل بين الخافقين فشا   والعلم أغرب من عنقاء مغربه
أعلامه درست في كل ناحيـــة   والبوم يصدح في أعلى مخربه

وفي قصيدتين تبودلتا بين عبدالعزيز بن طوق ، وعبداللطيف ابن عبد الرحمن آل الشيخ ، شـــكوى وبكاء موثران ، كتب ابن طوق من الاحساء يشكو من الويل والبلاء [2] :

وأعظم من ذا يا خليلي كتائب   تهدم من ربع الهدى كل عامر
ويبدو بها التعطيل والكفر والزنا   ويعلو من التأذين صوت المزامر
أناخ لدينـــا للضلالة شـــيعة   أباحوا حمى التوحيد من كل فاجر

ويصف الأعداء الطـــاعنين من الداخـــل ، من المداهنين والخوارين :

---

(1) الديوان : ٤٣ وهذان البيتان من القصيدة التى مر ذكر مطلعهـا : ياغربة الـدين .

(2) عالم من علمـاء نجـد ، لم يذكر له المؤرخون الا هذه القصيدة التى أرسلها من الاحساء إلى عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في السنين العصيبة يطلب جوابها (انظر الأدب الحديث في نجد : ٢٣) . وانظر ص ١٢٠ من الكتاب .

وقابلهم بالسهل والرحب عصبة على أمة التوحيد اخبث ثائر
يقولون : لكنّا رضينا تقيّة تعود على أموالنا والذخائر
فضحك ولهو واهتزاز وفرحة أوألوان مأكول ونشوة ساكر
مصاب يكاد المستجن بطيبة ينادي بأعلى الصوت: هل من مثابر(1)؟

ويجيبه عبد اللطيف بن عبد الرحمن بقصيدة وصف فيها الذكريات الماضية ، اجتماع الشمل ، وحلقات العلم ، وعزة الإسلام ، والليالي المقمرة ، والأيام الطيبة التي قضاها في نجد أيام عزها(2) :

تذكرني أيام وصل تقدمت وعهد مضى للطيبين الأكابر
ليالي كانت للسعود مطالعا وطائرها في الدهر أيمن طائر
وكان بها ربع المسرة آهلا تمتع في روض من العلم زاهر
وفيها الحماة الناصرون لربهم معاقلهم شهب القنا والخناجر

ثم يبكي الواقع المرير ، حين جاءت الفتنة الهوجاء من الجنوب ، من شعوب يام والدواسر ، يقادون ليخربوا ما عمر الله ، ويبكي القتلى واليتامى والأرامل والأيامى ، وهتك ستر الحرائر ، وجوع الصبية في الشتاء القارس :

وبدلت منهم أوجهاً لا تسرني قبائل يام أو شعوب الدواسر
يذكرنيهم كل وقت وساعة عصائب هلكى من وليد وكابر
وأرملة تبكي بشجو حنينها لها رنة بين الربى والمحاجر

(1) كذا في الأصل ولعلها تحريف عن : هل من مناصر .
(2) الدرر السنية : ١٨٨/٧ .

واضحى بنو الإسلام في كل مأزق | تزور هموغرثى السباع الضوامر
وهتك ستر للحرائر جهرة | بأيدى غواة من بواد وحاضر
وبات الأيامى في الشتاء سواغبا | يبكين أزواجا وخير العشائر

وبكوا الفساد السياسي ، وخراب الديار ، وانقطاع أواصر التعاون ، بين العلماء والزعماء ، لكبح جماح الأشرار حيث مال كثير منهم الى المداجاة والمواربة ، حتى بقى الفارس المدافع وحيدا في الميدان ، قال ابن سحمان [1] :

وقد صالح الإخوان والألف والذى | أناضل عن أحسابهم كل ثالب

وقال [2] :

أعلل نفسي بالرجاء اريحها | ويطرقها طيف الأسى فتنكس
أقلب طرفي بين صحبي فلا أرى | سوى من بأكبال الإسار مكوكس
غريب بعيد الدار تعلوه ذلة | إذا مارأى المكروه يغضى ويخرس

وقال عبد اللطيف بن حسن يشكو تفس الشكوى : العلماء الذين كانوا يدا واحدة على الأعداء ، فدب اليهم الخلاف ، وتفرقت بهم السبل ، فأصبحوا أذنابا ضعيفة ، وأخذ بعضهم بعرض بعض قدحا وعيبا [3] :

أشكو اليك حوادثا أنزلتها | فتركتنى متواصل الأحزان
لولا رجاؤك والذى عودتنى | من حسن صنعك لاستطير جنانى

(1) ديوانه : ٢٣٨ .
(2) التذكرة : ٢٠٩/١ .
(3) الدرر السنية ١٩٢/٧ والتذكرة ٢٠٥/١ - ٢٠٦ .

من لى سواك يكون عند شدائدى	إن انت لم تكلأ فمن يكلاني ؟
يا رب واحكم بيننا في عصبة	شــدوا ركائبهم إلى الشيطان
سلّوا سيوف البغى من أغمادها	وســعوا بها في ذلة وهــوان
واستبدلوا بعد الدراسة والهدى	بالقــدح في صحب وفي إخوان
تبا لهم من معشر قد أشربوا	حب الخلاف ورشوة السلطان

- ٣ -

وشكوا خراب دور العلم ، وذلة أهل العلم الذين كان لهم الأمر والنهي ، فأصبحوا يحدجون بنظرات الريبة ، ويتهمون بإفساد الأمور ، بعد أن كانوا هم المصلحين ، حسبك أن ابن رشيد حاكم نجد ، كتب إلى عامله على الرياض : أن قل لابن سحمان ، لئن لم تنته عن قول الشعر لأقطعن لسانك ، أو أخرجك من أرض نجد إلى بلادك التى قذفت بك إلينا ، ويزداد الأمر سوءً على رجال العلم والإصلاح حتى نرى الحاكم الشمرى يكتب للناس منشورا عام ١٣١٦ هـ ، بأن لا يتكلم أهل العلم بشيء من أمور الدين ، وأن يتركوا تدخلهم في الدولة الذي يســمونه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا ما صوره ابن سحمان حين سمع هذا الكلام بالميمية المشهورة ، التى وصف فيها إقبــال النــاس على حطام الدنيا وزخارفها [١] :

على الدين فليبك ذوو العلم والهدى	فقد طمست أعلامه في العوالم
وقد صار إقبال الورى واحتيالهم	على هذه الدنيا وجمع الدراهم

---

(١) انظر التذكرة : ٣١٣/١ ، ٣١٤ والقصيدة في الديوان : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

واصلاح دنياهم بافساد دينهم وتحصيل ملذوذاتهم والمطاعم
يعادون فيها بل يوالون أهلها سواء لديهم ذو التقى والجرائم
إذا انتقص الإنسان منها بما عسى يكون له ذخرا أتى بالعظائم
وأبدى أعاجيباً من الحزن والأسى على قلة الأنصار من كل حازم
وناح عليها آسفا متظلما وباح بما في صدره غير كاتم

وذكر مقابل ذلك إهمالهم لما يتصل بالدين والإصلاح من قوة وعزيمة ، وشكى الجاهلين وبكى العلماء •

فأما على الدين الحنيفى والهدى وملة ابراهيم ذات الدعائم
فليس عليها والذى فلق النوى من الناس من باك وآس ونادم
فلا آمر بالعرف يعرف بيننا ولا زاجر عن معضلات الجرائم
فيا محنة الإسلام من كل جاهل ويا قلة الأنصار من كل عالم
وهذا أوان الصبر إن كنت حازماً على الدين فاصبر صبر أهل العزائم

وابن سحمان أكثر الشعراء بكاء وشكوى ، لأنه ظل مكافحاً لا يلين ، ولا يلقى السلاح ، رغم الوعيد والتهديد ، ولأنه عاش الفترة المظلمة كلها أكل من شبابها ، وأكلت من كهولته ، قرابة ربع قرن ، وأحسبه أشد دينا ، وأوعى بصيرة وضميراً من ابن عثيمين ، الذى أدرك من السنين العجاف قدر ما أدرك ابن سحمان ، وشعره وشخصيته تدلان على صراحة واستقلال في الرأي عرضاه لغمط الأقرباء ، ومشاحنة العلماء والأصدقاء وضراوة الأعداء ، وقيد الحكام •

وله قصائد في هذا الغرض متفرقة في ديوانه ، بعضها ضمن

قصائد دفاعه عن الدعوة ضد المهاجمين ، وبعضها مستقل[1] .

وتجد حديث الذكريات وافيا في هذه الفترة ، يعود الشعراء بالذاكرة إلى أيام صباهم وشبابهم ، لا ليتذكروا الغزلان والمها ، بل ليتذكروا اجتماع الشمل ، وعزة الدولة ، والأمن والخصب ، وارتياح البال ، حتى يتصور المرء في تلك الفترة أساتذته ومربيه معه ، وانما هو في خيال حالم[2] :

فلله عصر بالمسرات قد مضى ... فأيامه بالأنس غر صوالح
فوالله ما أنساه ما هبت الصبا ... وما ناح للأطيار في الدوح نائح
ولله أصحاب على البعد والنوى ... يناد منى منهم على النأى ناصح

وقال يبكى تمزق الشمل بعد خراب الديار ، وذل العلماء والزعماء :

وعهد تقضيناه بالأنس وانقضى ... وبدلت أفراحا بأتراح جمة
فبدد شمل كان بالصحب شاملاً ... بكل مكان فرقة من أحبتى
ففى بلد الأفلاج منهم عصابة ... اليهم تتوق النفس كل عشية
وبالهند منهم صاحب أي صاحب ... له همة تسمو به فاشمعلت
فاخضلت دمع العين لما ذكرته ... وحالت بحار دونه واستقلت
وجالت بى الأشجان من كل جانب ... فوطنت نفسي باللقا فاطمأنت

ويتحسر متسائلا ما جدوى العيش بعد فراق من نحب ،

---

(1) انظر القصائد في الديوان في الصفحات : ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ .

(2) ديوان ابن سحمان : ٢٥٥ .

في هذا الجو الخانق ، الذى يقضى فيه الرجل المجاهد ، ويشتت العلماء ، ويبقى الانسان ينتظر من الدنيا كل عذاب :

لعمرى لقد أضرى بى الوجد جذوة	على عهد انس بالهنا والمسرة
فان لم يكن عهد المسرة عائدا	فأية عيش يرتجى بعد أيـة ؟
فوا لهفى إن كان ليس براجع	وواحر قلبى من غواش أظلت
وواجزعى أن ليس للدين ناصر	وواحزنى من معضلات أجنت

- ٤ -

أما رثاء الأشخاص فهو كثير ، والشيء الذى يذكر به هذا الشـعر ، أنه اهتـم بالعـلماء أكثر ممـا اهتـم بالزعمـاء والساسة ، وهذا من ثمار الدعوة الإصلاحية التي جعلت الشعر يتسم بهذه الظاهرة الغريب وقوعها في التاريخ ، لأن غالب فترات التاريخ الإسلامى كان فيها الشاعر مجرد موظف في قصر الحاكم، للمديح والتهانى ، وإذا مات هذا الخليفة أو ذاك بكى بكاء شخصياً لكن أكثر الحاكمين من آل سعود ، لم يتخذوا من الشعراء موظفين ولم تكن تربطهم بشعراء عصرهم أكثر من رابطة الإعجاب من الشـاعر ، بالحاكم الصالح ، والتقدير من الحـاكم للمواهب ، والنابغـين ، الذين يجاهدون بألسنتهم وأقلامهم عن حيـاض الدعـوة .

ولذلك سـبب آخر ، فكل الشعراء الذين نتحدث عنهم

إنما هم شعراء بالتبعية ، علمــاء بالأصالة ، فإعجابهم بالعلمــاء وتأثرهم بهم ، وتعلقهم لا يرقى اليه أي اعتبار .

وقد ركزوا في الرثاء على الصفات الخلقية والثقافية التى تتصــل بالدين أكثر من غيرها ، اضافة الى الثنــاء على الميت بالصفات التقليدية ، قال حسين بن نفيســة يرثى عبد الله بن خــاطر[1] :

فان رمته في الدين فأت نديه	تجد كل من يروى الحديث ويخبر
بتعليم قال الله قال رســوله	وما قاله الأصحاب بعد وكرروا
ترى الأمهات الست من جل كنزه	وفي كتب الشيخين دوماً يذكر

ثم يمضي في الصفات التقليدية :

وإن رمته في الحرب فهو ضرامها	إذا كلحت أنيابها فهو مســعر
فمن مثــله للوافــدين مؤمــل	إذا أجدبت أوطانهم ثم اعسروا

أما فيما عدا ذلك ، فهو كأغراض الشعر الأخرى التقليدية التى ليس عليها طابع واضح يتميز به شعر الدعوة من غيره ، من

---

(١) التذكرة : ١١٧/٢ ـ ١١٩ حسين بن نفيسة شاعر من طراز ابن بليهد في كثرة الشــعر ومستواه ، له ديوان مطبوع توفي بعد عــام ١٣٧٥ ، ويأتى تفصيل عنه في فصل الشعر في نجد له قصائد في التذكرة ، وعبد الله بن خاطر جواد من الكرام ، الذين نالوا زعامة وذكرا في ساحل الخليج ، وكان محباً للخير ، نافعاً للعلماء وطلاب العلم بالبر والصلة ، وطباعة الكتب .

أجل ذلك ، تركت الحديث عنها إلى حين آخر ، ولعل ما تقدم بيانه من الأغراض يعطى دليـلاً واضحاً على أن الشعر قد تأثر وأثر في الحيـاة الجـديدة التى امتدت قرنين من الزمان تأثراً واضحاً[1] ، بصورة قوية واضحة .

---

(1) يرى بعضهم (شعراء نجـد : ٢٣) « أن الشعر لم يكن يعطى صورا حقيقية عن بيئة الشاعر ومجتمعه ، ومستوى حياته المـادية الروحية ، والفلسفة العامة بخبايا النفس الذاتية بقدر واف » أما اعطاؤه صورة من البيئة سياسية أو اجتماعية أو فكرية فذلك ما تبين في هذا الفصل ، أما فلسفة خبايا النفس فتلك رومانتيكية مغرقة وأنى للشـاعر في هـذا الجو المليء بالفتن أن يفرغ لنفسه ، وهو ليس بدعا من الشعراء أما الذين زعموا أن موضوعاته كلاسيكية لم تتغير لتواكب الحركة الإصلاحية (شـعراء نجـد : ٢٣) (والأدب الحديث في نجد : ٣١) ففي هذه الفصول ما ينفى ذلك الرأي كما ذهب الأستاذ ابن ادريس إلى أن الشعر لم يعبر عن جوانب الحياة الروحية إلا بقدر ضئيل جدا ، وأن أغراضه لم تخرج عن أطار المديح والهجاء والرثاء إلا فيما ندر (شعراء نجد : ٢٤) ، وفيما عرض شعر عبر عن الحياة الروحية تعبيرا واضحا كبيراً ، وفيما عرض من موضوعات جديدة ما ينفى هذا الرأي .

الفصل الثاني

الشُّعَراء



١
أحمد بن مشرف

- ١ -

ينتمى إلى المشارفة من الوهبة ، من تميم ، ولد في « الزبارة » من قطر ، وقضى فيها مدة من الزمن[١] ، ثم هاجر الى الأحساء ، ولعل ذلك لطلب العلم ، ودرس على علمائها ، خاصة حسين بن غنام المالكى ، ودرس المذهب المالكى ، حتى شدا فيه وفي علوم عصره الدينية والعربية ، وخاصة الفقه والحديث ، ثم يمم شطر نجد ، يتعلم ، ويدرس وعاد إلى الأحساء وتولى قضاءها في آخر أيام الإمام فيصل ، وأول أيام ابنه عبد الله وتوفي عام ١٢٨٥ هـ . (١٨٦٨ م)[٢] .

وكانت له صلة بكبار عصره ، ووجاهة عند آل سعود يقدرون فيه الرجل العالم ، والشاعر الجرىء ، وقد استعان به أهل الأحساء ، لإبقاء الأمير محمد السديرى في إمارة الأحساء ، لما يعرفون من وجاهته عندهم ، وكان الأمير قد نقل إلى القصيم فأعادوه[٣] ، وكانت بينه وبين عبد اللطيف آل الشيخ صحبة قوية ومراسلة[٤] .

---

(١) ديوان الخليفى : ٢ .
(٢) تاريخ الاحساء : ١٠٩/٢ ـ ١١١ وفي عقد الدرر : ٤٥ انه توفي عام ١٢٨٤ هـ
(٣) التذكرة : ١٤٤/١ .
(٤) عقد الدرر : ٧٢ .

وتفيد المصادر أنه كان أعمى ، غير أننا لا ندرى أكان عماه (عمهاً) منذ ولد ، أم انه حادث لمرض الجدرى أو غيره •

له من الآثار مختصر صحيح مسلم ، ونظم رسالة أبى زيد القيرواني في العقيدة[1] اضافة الى ديوان شعر[2] •

وشعره أوسع سجل شعرى لغزوات وحروب الإمام فيصل فقد واكبه منذ البداية الى الانتهاء ويبدو أنه أدرك وهو شاب كارثة الدرعية عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) لأن له شعرا فيها ولم يؤثر له شعر قبل نكبة الدرعية وبعد وفاة الإمام فيصل فلم يقل

---

(١) شرحها احد علمـاء البحرين .

(٢) طبع ديوانه مرة في الهند ، ثم في مكة طبعه عبد الرحمن بن قاسم في مطبعة جريدة أم القـرى ، ثم نشره ابراهيم الضبيعي في الريـاض ١٣٧٠ هـ ، ثم طبع على نفقة الشيخ على عبد الله آل ثانى ، وطبع أخيرا في مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٨٦ هـ (معجم المطبوعات السعودية مقالات ، على جواد الطاهر، العرب . جادى الأولى ١٣٩١ هـ) ومن مراجعه ديوان الخليفى (المقدمة) : ٢ ، شـعراء هجر : ٧٧ ، الموسوعة ٢٨٢/١ ، الأدب الحديث في نجـد : ٣٢٩ عقـد الدرر : ٤٥ و ٧٢ ، تاريخ الأدب العربى للدفتردار وكحيل : ٢١/٤ تاريخ الاحساء : ١٠٩/٢ ـ ١١١ ، التذكرة : مواضع متفرقة من الجزء الأول تبدأ بحوالى الصفحة المئة وتنتهى دون المئتين أهمها : ١٨٢ و ١٨٣ ، والحركة الادبية ٦٠ .

وقد عـده صاحب الأدب الحديث من شعراء نجـد واعتمد شـعره ضمن الشعر النجدى في الحكم على خصائص الشعر النجدى ، والواقع ان الشاعر ـ وان جاء إلى نجـد دارسا أو مادحا أو وافدا ـ احسائى المولد والمنشا والحياة والوفاة .

شيئا إبان الخلاف بين أولاد فيصل وقد توفي أثناءه [1] .

أما الموضوعات التى طرقها في شعره ، فقد طرق المديح ، وأكثر منه ، وأكثر مدائحه في الإمام فيصل ، الذى أعاد للدولة السعودية جدتها بعد بلى ، وعزتها بعد ذل ، وكان رجلاً شجاعاً كريماً معطاء ، ومدائحه لغير فيصل قليلة ، ولا نجد له مشاركة في الأحداث السياسية قبل اتصاله بالإمام فيصل ، والشيء الغريب الذى يجدر بالدارس الوقوف عنده أن الرجل يطلب المكافأة على شعره [2] :

فلولاه لم ترقص بنا العيس في الفلا   من البيد تطوى فدفداً بعد فدفد
نرجى نوالاً لم تجد كف هوذة   به قط للأعشى ولا كف أجود
فلما انخنا عيسنا بفنائه   قضت كل مأمول وسؤل مقصد

بينما نجده في بعض قصائده سياسياً جريئا ، يوبخ الحاكمين، ويعرض عليهم مشكلات البلد ، ويعرض تخاذلهم عن قمع اللصوص بأسلوب ساخر .

وشعره في المديح يضم ثلاثة ألوان : المديح الخالص من

---

(١) ذكر ابن عبيد في التذكرة (١٤٧/١) ان آخر قصيدة قالها اللامية التى مطلعها :

على الوالى المهذب خير وال   إمام المسلمين اخى المعالى

وهى التى أرسلها عام ١٢٨١ هـ إلى فيصل بن تركي وهذا وهم من المؤرخ لأن الشاعر رثا فيصلا المتوفى عام ١٢٨٢ هـ (انظر ديوانه ١٠٣) .

(٢) ديوانه : ١٤ .

المناسبات ، والتهانى بفتح ، أو الظفر على عدو ، أو مسير جيش ، والثالث ليس من المديح ولكنه اتصل به عرض بعض القضايا السياسية التى تتصل بالأمن ، وظلم العمال وغارات الأعراب ، وتقارب قصائده في هذا الغرض العشرين [1] :

وهو كشعراء الدعوة يركز في المديح على نصر الإسلام والتدين . قال في آل سعود [2] :

همو نصروا التوحيد بالبيض والقنا ... فنال المنى بالنصر كل موحد
وكم غارة عشواء شنوا على العدا ... وكم طارف منهم حووه ومتلد
وكم سنة احيوا وكم بدعة نفوا ... وكم هدموا بنيان شرك مشيّد

مع الصفات التى جرت عادة الشعراء امتداحها في الحاكمين قال في مدح فيصل [3] :

تراه لفعل المكرمات مشمرا ... إذا الجود والإقدام للناس اقعدا
يعامل من يرعى برفق وحكمة ... ويقمع منهم من طغى وتمردا
إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم ... فعاشوا بخير كلما راح أو غدا

- ٢ -

أما شعره الدينى في الدعوة شرحاً ودفاعاً ، ومناقضة ، فهو كثير سواء نظرنا إلى قصائده المستقلة [4] أم إلى تردده في أثناء القصائد .

---

(١) انظر ديوانه : ٤٤ و ٤٥ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٦ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٧١ و ٧٢ و ٧٧ و ٨٢ و ٨٤ و ٨٦ و ٨٨ و ٩١ و ٩٤ و ٩٦ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٥ .
(٢) ديوانه : ٦٢ .
(٣) ديوانه : ٥٥ .
(٤) انظر ديوانه : ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٨ و ٤٣ و ٤٨ و ٥١ .

تحدث عن غربة الزمان واندراس العلم ، وتكالب الفتن ، حتى استغرب الشاعر أفعال المتمسكين بالدين فضلا عن المتهاونين[1] :

واغربة الدين فأعجب من تفربه	عند المصدق فضلاً عن مكذبه

وكان لوجوده في الأحساء بيئة التشيع ، والمذاهب الكثيرة في أصول الدين وفروعه ، من مالكية وأحناف وحنابلة وشافعية ، وأشاعرة ومعتزلة وصوفية ، في خلالها تضيع الأهواء بين الأتراك، وآل سعود ، وآل عريعر ، أثر في اهتمامه بهذا الجانب الدينى منه والعلمى[2] :

تحدث عن قضية الاجتهاد والتقليد[3] :

فواحر قلبى من جهول مسود	به يقتدى في جهله وشقائه
إذا قلت قول المصطفى هو مذهبى	متى صح عندى لم أقل بسوائه
يرى أنها دعوى اجتهاد صريحة	فوا عجبا من جهله وشقائه

وتحدث عن القبور المطاف بها[4] :

لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا	بكل ذى جدث في اللحد مقبور
هذا يطوف وهذا في تقربه	يأتى اليه بمنحور ومنذور
وذا به مستغيث في شدائده	يرجو الإجابة في تيسير معسور

(١) ديوانه : ٤٣ .
(٢) الحركة الادبية : ٦٣ .
(٣) ديوانه : ٢٩ .
(٤) ديوانه : ٢٧ .

ونعى على الناس ذهابهم إلى « عين نجم » في جو تسوده الخرافة والأسطورة ، وكثير من اللهو والخنا ، وكانت عليها قبة :

ألا فاتركا عيناً تضاف إلى نجم   فقبتها بالهدم أولى وبالرجم

أما شعره السياسي ، فقد تحدث فيه عن غارات الأعراب على الأحساء ، وشكا فيه جور عمال الصدقة ، ونقد وحرض الإمام فيصلا ، ودعاه إلى النكاية بالمفسدين يقول في ظلامته[1] :

إليك شددت العيس أشكو ظلامتي   فقد رام خسفي حاسد وظلوم
وجار على العاملون بخرصهم   وظلم الورى يوم الحساب وخيم

أما الأعراب فقد وصف عبثهم بالأمن ، في ثلاث قصائد ، يقول في قصيدته الرائية إن الأعراب أساءوا الظن بالإمام فقالوا :

نغير على بلدانه ونخيفها   ليعرفنا الوالى وينمو لنا الوفر
فإن لم نصب ما قد أردنا فإنه   صفوح عن الجانى ومن طبعه الصبر

وكلمة الصبر هذه كناية أراد بها التحريض ، وقد صرح في قصيدته البائية بنحو من هذه المقالة ، واستخدم كناية عن التخاذل جديدة ، حين زعم ان حبيبته رفضت وصاله وقالت :

أنا في ربى نجد وأنت ببلدة   أحاطت بها الأعداء من كل جانب

وهو يستخدم في شعره السياسي الصراحة بينه وبين الحكام وعدم المواربة ، يدعوهم إلى القوة ، وفي البائية استخدم الشاعر

---

(1) ديوانه : ٩٧ .

كل الأسـاليب من وصـف للمأساة ، وتعريض ، وتصريـح ، وتحذير ، وتحريض [1] :

حتى أن المؤرخين ذكروا أن الإمام فيصلا تأثر منها تأثرا شـديدا ، مما دفعه إلى إرسال ابنه في جيش نكل بالعجمان ، وخضد شوكتهم [2] :

وابن مشرف في شعره السياسي إضافة إلى صراحته يدعو إلى القوة ، وربما أرسل الحكم بصيغ التعريض الحارقة ، يقول للإمـام [3] :

ما جرد الصمصمام ذو همـة — عند اعوجاج الأمر إلا استقام
والمجـد لا يدركـه مولـع — بلثمـة الحسناء ذات اللثـام

ويقول [4] :

فهل يستقيم الدين إلا بدعوة — إلى الله يتلوها سنان ومرهف؟
فمن لم يقومه الكتاب اقامـه — حدود الظبا والسمهرى المثقف

وغزل الشاعر تقليدى ، خاص بمطالع القصيد ، لا يأتى في قصـيدة مستقلة ، حسى متتابع التشبيهات للحبيبه التى تكون

(1) انظر جانبا منها في « الشعر السياسي » .
(2) التذكرة : ١٠٩/١ ذكرها في حوادث ١٢٧٥ هـ .
(3) ديوان ابن مشرف : ١٠٠ . (4) ديوانه : ٨٣ .

غزالاً وبدراً يكتنفه الليل [1] :

فتـاة كأن البدر غرة وجهها ... سوى أنه حينا إذا تم يكسف
ترى الصبح يبدو نوره من جبينها ... وفي شعرها جنح من الليل يعكف

- ٣ -

والشاعر فيما يبدو يجيد من أغراض الشعر ما يتصل بالقوة ، ولذلك يجيد في المديح ، ووصف الفتوح والمعـارك ، ويحسن التحريض ، لكن زنده يكل في الرثاء ، مات فيصل بن تركي ، الذي مدحه الشاعر بأكثر من ثلاثين قصيدة فلم يستطع أن يقول فيه غير أحد عشر بيتاً ، ليس فيها روح الحـزن أو البكاء على طراز قوله[2] :

واخلى القرى من كل شرك وبدعة ... وما زال ينهى عن ركوب المحارم
ويعطى جزيل المال محتقرا له ... سماحا ويعفو عن كثير الجرائم

ولنتجاوز عما في عبارة ركوب المحارم ، فان الشاعر لا يملك في هذه القصيدة شيئا أحسن من هذا البيت الساقط .

أما شـعره التعـليمى ، فهو نوعان ما قاله في الأخـلاق والنصـائح ، وهي الأجوزة المسماة « نغمـة الأغانى في عشرة الإخوان » تقع في قرابة ألف وثلاث مئة بيت من الرجز ، يتحدث فيها عن الصداقة وشروطها وآدابها ، وحقوق الإخوان فيما بينهم

(١) ديوانـه : ٨٣ .
(٢) ديوانـه : ١٠٣ .

وتزاورهم ، وتعاونهم ، والتحذير عن شرارهم ، كقوله في تعريف الصداقة [١] :

وفسروا الصداقه بالحب حسب الطاقه
وقيل لفظ لا يرى معناه في هذا الورى

وهو يستعين على ما يعرض ويقرر من أفكار بالقصص الأسطورى عن الحيوانات والطيور ، والواقع من التاريخ ، ليؤكد قضيته على طراز صاحب كليلة ودمنة [٢] :

وله بعد ذلك منظومات في أصول الدين ، منها نظمه لرسالة القيروانى ، وقصيدة الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية ، قرابة مئة بيت ومطلعها :

نفيتم صفات الله فالله أكمل وسبحانه عما يقول المعطل

وقصيدة مختصرة في التاريخ .

---

(١) ديوانه ١٠٩ وعدها احد الكتاب ٦٧٥ بيتا (الحركة الادبية : ٦٠) وذلك لاعتباره البيتين من الرجز بيتا واحدا ، كما قدر شعره بـ ٢٥٠٠ بيت وعد قصائده فبلغت ٥٠ قصيدة .

(٢) رجح احد الباحثين (الأدب الحديث في نجد : ٣٤٠) ان شوقيا تاثر بابن مشرف في نظم القصص الخرافي لا بلا فونتين واستدل على ذلك بان شوقياً جاء بعد الشاعر ، وهو راي غريب جدا فالقصص الخرافي معروف قبل ابن مشرف ، قد نظم ابان اللاحقى قبله كليلة ودمنة شعرا ، وليس لابن مشرف شهرة في شعره ولا ابداع في قصصه تجعل شوقيا يقتبس منه ، وقد عرف الناس ان شوقيا حاكى لافونتين وقيل ذلك بمسمع منه فما انكر ، ولو تاثر بشاعر عربي لكان أجدر بالإعتراف له منه لشاعر غربى .

وأسلوب الشاعر ، ومنزلته الشعرية ، وسط بين ابن سحمان، وابن عثيمين ، لم يبلغ شأن ابن عثيمين ، وإن شاركه في تدفق الطبع ، وجريان الكلمات تنثال وتنهال ، وشعره أسلم من شعر ابن غنام من حيث الحرص على ترك التأنق ، ويمتاز شعره عن كل شعراء عصره ما عدا ابن عثيمين سواء منهم شعراء الدعوة أو غيرهم ، بقلة الإهتمام بالزخرف اللفظى والمحسنات ، ولا تجد له تاريخاً أو تطريزاً أو تشجيراً أو تعجيزاً ، وسبب ذلك الوعى الدينى ، وجدية الرجل التى نراها في شعراء الدعوة ، وهو ابن الدعوة ، في شعره نسماتها تهب ، وعبيرها يروق ٠

وهو متأثر بالشعراء القدامى ، وشـــعر أبى الطيب المتنبى خاصة واضح الأثر في شعره ٠

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرة في شعره ، لا يكاد يتركها في سائر أغراض شعره ، حتى ليتمكن الحكم على قصائده بالتمام أو البتر ، نتيجة وجود أو عدم الصلاة ، وهي أثر من الروح الديني الذي تشبعت به نفسه ، وارتوت منه ٠

وإدلال الشاعر بشعره ومديحه له ، نغمة لزمها الشاعر ، في أواخر قصائده ، يهدى القصيدة العصماء إلى الإمام ، وكأنها

الغادة الحسناء يوم جلوتها [1] :

ودونك من در القريض قصيدة تكاد لها الحذاق بالتبر تكتب
أتتك من الأحساء ترفل بالحلى وتختال في برد الشباب وتعجب
بها ينشط الساري إذا جد في السرى ويصبو لها الصب العنى ويطرب
بدت من بصير بالقوافي يصوغها وينظم منها درها حين يثقب

(1) الديوان : ٣٢ وانظر ايضا ٤٥ والتذكرة : ١/١٣٤ .

٢

سليمان بن سحمان

- ١ -

ولد عام ١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) في السقا قرية قرب أبها[١] ، عاصمة عسير ونشأ بها ، وانتقل مع والده الذى هاجر إلى الرياض عام ١٣٧٨ هـ (١٨٦١ م) ، أثر استيلاء الترك عليها ، واشتغل في الرياض معلماً لصغار آل الشيخ ، وقيما على معاشات الإخوان فنشأ سليمان فيها ، وأخذ العلم عن كبارها ، كعبد الرحمن بن حسن ، وحمد بن عتيق ، ولازم عبد اللطيف بن عبد الرحمن عشر سنوات يكتب له ، وكان معروفا بجودة الخط[٢] . وهاجر مع أبيه إلى الأفلاج أيام الخلاف بين أولاد فيصل ، وفيهـا مات أبوه ، وعاد إلى الرياض بعد وفاة سعود بن فيصل فعينه عبدالله ابن فيصل كاتباً عنده ، ولكن الأمر لم يستقر لعبد الله ، وفرضت على الشـاعر الإقامة في حائل ، ولنشاطه العلمى كرهه القوم ، فسمحوا له بالعودة إلى الرياض حيث انطلق لسـانه في الدفاع والهجاء ، حتى شكاه عاملها لابن رشيد ، فكتب لعامله « إن لم ينته

---

(١) ذكرها في شـعره (ديوانه : ٢٩٦) .

(٢) رايت كتابته لرسائل عبد اللطيف وقصيدة لحسين آل الشيخ ، وهو ليس بالعالى الحسن ، ولا الردىء الراهن ، وربما كان مثل خطه في عصره من العالى الحسن .

ابن سحمان فاقتله ، أو اقطع لسانه ، أو اجله من بلاده » ، ومن تلاميذه في العلم عبد الله العنقرى ، وعمر بن حسن ، وأبناؤه صالح وعبد العزيز وعبد الله ، وسليمان الحمدان ، وعبد العزيز ابن مرشد ، وعمى عام ١٣٣٠ هـ وتوفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)[1] .

وابن سحمان يعد في العلماء المحققين في علوم الشريعة ، فقهها واصولها ، وهو دون استثناء أنشط علماء الدعوة تأليفا ، وأكثر مؤلفاته في الدفاع عن الدعوة والردود ، وله من الكتب ما يتجاوز عشرين كتابا في النشر منها الرد على النبهانى ، والأسنة الحداد في الرد على علوى الحداد ، والضياء الشارق في الرد على جميل صدقى الزهاوى ، وتتمة تاريخ نجد فيما أهمله الألوسي أو غلط فيه ، وله جهد في تجميع رسائل أئمة الدعوة فقد جمع رسائل عبد اللطيف آل الشيخ ، ومجموعة المسائل والرسائل النجدية وغيرها[2] .

---

(١) انظر ترجمته في النفائس الشعرية : ٤٠ ، والدرر السنية : ١٨٧/٢ ، وعلماء الدعوة : ٨٧ ـ ٨٨ والتذكرة : ٢٤٧/٣ ـ ٢٥٦ ، وتاريخ الادب للدفتردار وكحيل : ٣٩/٤ ومشاهير علماء نجد : ٢٩٦ والادب الحديث في نجد : ٢٦ .

(٢) انظر قائمة ببلوقرافية بمؤلفاته في معجم المطبوعات السعودية . مقالات على جواد الطاهر : العرب شعبان ١٣٩٢ (ويضاف اليها ما استدركه يحيى محمود الساعاتي في العرب ذو الحجة ١٣٩٢ هـ ، يضاف الى ذلك الجواب المنكى في الرد على الكنكى (ذكره في الدرر السنية ٨٧/١٢) والجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية رد به على عبد الله بن عمرو (ذكره في النفائس الشعرية : ٤٠) والرد على النبهانى ذكره الالوسي في غاية الامانى وعدتها ٢٣ كتابا ما بين مؤلف ومجموع ومنظوم ومنثور غير ديوانه .

ديوانه : سماه « عقود الجواهر المنضدة الحسان مما أنشأه الفقير إلى ربه المنان سليمان بن سحمان » وطبع الكتاب في حياته عام ١٣٣٧ هـ في بومبى ، والطبعة رديئة جـدا حافلة بالأخطاء الإملائية والمطبعية والتصحيف ، وهو بحاجة إلى إخراج جديد[١]، وثلثا حجم الكتاب وأبياته خصصها الشاعر للـدفاع والردود ، وهو القسم الأول من الديوان ، والقسم الثاني يتناول أغراض شعره ، وألحقت بالديوان بعض قصائد الشاعر التى جلت أو وجدت بعد طبع الجزء الثاني ، ومجموع ما في الديوان كله (١٠٨) قصائد في حوالى ٨٠٠٠ بيت[٢] ، وله قصائد أخرى منها أربع قصـائد ضمن رسـائل عبد اللطيف (المخطوطة) لم تثبت في ديوانه ، وقصيدة في مناجاة الذئب[٣] .

- ١ -

أغراض شعره : أكثر شعر الشـاعر ، وأهمه ما قاله في الدفاع عن الدعوة ، وله في ذلك قرابة أربعين قصيدة . وهذا من ناحية العدد يشكل ثلث شعره ، لكن من حيث كثرة الأبيات لا يقل عن ثلثي الديوان ، وهذا ما جعله يضع الدفاع في صدر الديوان ، وهو لا يسترسـل على طبعـه ، ولا يأتى من القول

---

(١) علمت ان احد الفضلاء يقوم بتحقيقه ، وارجو ان لا يعنى تحقيقه تنسيقه وحذف بعض أبياته كما ذكر لى ، فابن سحمان وخصماؤه ذهبوا الى ربهم ، وقد طبع الكتاب كاملا في وقتهم وهم أحياء يرزقون ، فكيف يحذف منه بعد ذهاب كل شيء ؟ وبعد ان بقى ذلك للتاريخ .

(٢) ذكر ذلك في (مشاهير علمـاء نجد : ٢٩٦) قال ان عدد أبياته ٨٠٩٨ بيت .

(٣) انظرها ص : ١٣٩ ـ ١٤٠ وهى في ملتقى الانهار : ١٨١ .

بالقوي المبين ، إلا في هذا الغرض حين يدافع ويناقش بلسان حاد يدمغ بالحجة ، ويسلب الخصم شخصيته العلمية ، لينهال عليه ضربا بالهجاء الحاد ، سخرية بعلمه وبمنصبه ، مفرغا عليه ما شاء أن يفرغ من ألفاظ . وأوصاف لها وقع السوط الملتهب على الجسد العارى ، موزعا القصيدة ما بين الدفاع والهجاء ، مطيلا ، حتى ان من قصائده ما بلغ ٧٠٠ بيت[1] .

ويمكن اجمال موضوعات الدفاع عنده ، بأنها الدفاع عن الشيخ محمد في حروبه وشرح مذهبه ، والرد على مخالفى أهل السنة في فهم صفات الله كالجهمية والمعتزلة والرد على مجيزى شد الرحال لقبر النبي ، والتوسل به وبأهل القبور من الأولياء والصالحين ، والإفاضة في حكم الاقامة في بلد لا يحكم فيه بما أنزل الله ، والإفاضة في حكم التقليد والاجتهاد ، ويتخلل ذلك الهجاء الحار ، والمديح لرجال الدعوة ، ومؤيديها من الخارج والداخل[2] ومستخدما أيضا ألفاظ القذف الدينى بصورة لم يسبق ان استخدمها أحد من علماء الدعوة أو شعرائها ، كالرمى بالكفر والزندقة ، حتى ادخل بشرا كثيرا في الكفر منهم المعاصرون

---

(١) انظر تفصيلا لذلك في شعر الهجاء : ٢٣ وما بعدها .

(٢) عاب أحد الباحثين (الحركة الادبية : ٨٠) شعره بالتكرار وقال « ان شعره رغم كثرته قليلا الغناء ، ويمكن أن تكشف معانيه في قليل من الصفحات ، وهذه المعاني المحدودة حملت الشاعر على ترديد الفاظ بذاتها » ان الشاعر مضطر الى التكرار طالما ان خصومه يريدون نفس الشبه في اكثر من قصيدة . والشاعر لم يقل هذا الشعر في كتاب تعليم ليلام على ذلك بل قاله في معرض تتكرر فيه الافكار بتكرر الخصوم (للتوسع راجع شعر الدفاع عن الحركة : ٩) .

والمتقدمون ، والمحسنون والمسيئون[1] ، وهو يجيب بنفس الأسلوب الذى يجيب به أعداء الدعوة في هذا المجال [2]، وليس من شك أن لفترة الضعف السياسي التى عاشها الشاعر أثرا في كثرة الهجوم على الدعوة ، مما سبب الضغط على الشاعر من الداخل والخارج ، فكان شعره يعبر عن حالات نفسية واجتماعية حادة اكثر مما يعبر عن آراء الدعوة الصافية ، وربما دخلت قضية تكفير الدولة العثمانية طابعا سياسيا ، ليس له من الدين مستند ، أو طابعا دينيا غالبا ، أو طابعا هجائيا على شاكلة قوله لأحد خصومه[3] :

واعلم بأن الظلم والظلم التى	قد شادها الإصرار والآصار
في هذه البلد التى أنتم بها	والحكم بالقانون والأوزار
وبها اللواط لدى العساكر والزنا	والخمر والتنباك والمزمار
والرفض عندكم رخيص سعره	إظهاره ما إن له إنكار
والله حرم مكث من هو مسلم	في كل أرض حلها الكفار
ولهم بها حكم الولاية قاهرا	فاربأ بنفسك بالمقام شنار

والرجل على كل حال أوضح علم حاول أن يطوع لغة الشعر للجدل والنقاش العقيدى ، وهو عالم يستطيع الدفاع أو ما يسمونه (الردود) بالنثر لكنه يستخدم الشعر لأنه أقوى

(١) الحركة الادبية .
(٢) انظر تفصيل ذلك في شعر الهجاء : ٢٣
(٣) ديوانه : ٧٦ التنباك : الدخان

تأثيرا في النفوس كما قال[1] :

فقلت مجيبـاً بالقريض لأنـه أشدعلىالأعدا منالصارم الهندى

معادراكه لصعوبة النقاش العقيـدى في الشـعر وعرض الحجج لكنه يقارب في ذلك كما قال[2] :

وقد جئت من رد عليه بحسب ما أطقتولم أستقصفي البحثوالرد
لتعسير وزن النظم فيما أرومه وأورد من نص الأحاديث بالسرد
وأقوال أهل العلم من كل مذهب وكل إمام من ذوى العلم والزهد

ولم يكن يهمه ما سيقول عنه الباحثون من انه وفق قليلا وأخطأ كثيرا ، لأنه في عصره قـد وفى بالغرض الذى يرومه من وراء ركوبه الشعر . وفي الغـالب يدخل إلى هجائه وموضوعه مباشرة دون مقدمات غزلية طللية[3] :

الا أبلغـا عنى حسينا رسالة جواب هجـاء أبرزته غـلائله

ثم يأخـذ في عرض أفكار خصمه عرضـا يركز فيه على ما يأخذه عليه ، وهو يعرض في الغالب كل فكرة ثم يرد عليها ، ثم يعرض أخرى وهكذا دواليـك ، وأحيانا يسوق كلام الخصم بحروفه فإذا كان خصمه قال القصيدة ، وهذا الغـالب ــ فأكثر شعره في النقائض ــ عرض أبيـات خصمه كاملة أو مجزأة في شعره كقوله يرد على أمين بن حنش الذى آزر داوود بن جرجيس في حملته على القوم[4] :

---

(١) ديوانـه : ٨ .
(٢) ديوانه : ٨ .
(٣) ديوانـه : ٢٣٣ .
(٤) ديوانه : ٦٥ .

يا من تهور جهلا من شقاوته — من قال بالزور والطغيان بهتانا :
(الحق لا شك ما أفتى الإمام به — أعنى به الشيخ داوود بن سلمانا)
(العالم الفاضل النحرير ذا ورع — والمرشد الكامل المملوء عرفانا)
ما أنت بالحكم الترضى حكومته — ولا الأصيل ولا من حاز عرفانا

فإذا فرغ من ذلك أخذ في الهجاء والسخرية والزراية ، يبدىء ويعيد في ذلك ، ويضمن هجاء معارضيه مديح أصحاب الدعوة إن كان الموضوع يتناولهم عن قرب ، ويستخدم في الهجاء كل ما يتمثل بالشخص من مثالب في العلم والدين والخلق والنسب والحسب ، قال[1] :

واذ كنت من أنباط أجذم لم تكن — من العرب العربا ولا من سموا فخرا
ولم تدر من دين الهدى غير مذهب — يضللك في الدنيا ويخزيك في الأخرى

ويستخدم كل ما يتصل بالهجاء من بعيد أو قريب ، ويعير الذين أقاموا تحت الحكم التركى بأنهم ضعاف ، لا يستطيعون إلا السمع والطاعة لولاتهم ، ويستعدى عليهم إذا هجوه آل ثانى في شعره استعداء ضمنيا كما قال[2] :

فان لم تنبيوا طائعين لربكم — فان فتى منا هماما مقدما

سينتقم منكم ، ويذيقكم ما يعيد اليكم رشدكم وصوابكم .

(١) ديوانه : ٦٥ .
(٢) انظر ديوانه : ٧٤ و ٧٦ و ١٦١ .

وهو بحجاجه الجبار ، وسخريته وتنقيبه عن المثالب ، يعيد صورة قوية من صور نقائض شـعراء الجاهلية والإسلام ، أو جرير والفرزدق والأخطل ، واذا تم نشر اشعار معارضيه ، فإن شعرا كثيرا في الهجاء والجدل العقيدى سيكون لافتا الأذهان(١)

- ٣ -

وأغراض الشاعر بعد شعر الهجاء والدفاع ، تعتبر قليلة اذا قيست به ، ومن أكثرها البكاء والرثاء ، وهو أكثر شعراء الدعوة كلهم بكاء ورثاء ، وشكوى ، وذلك يعود إلى أنه عاصر أكثر من ثلاثين عاما كانت فيها شدة البـلاء ، والنكد على حماة الدعوة وعلمائها بعد وفاة الإمام فيصـل عام ١٢٨٢ هـ ، فبكى الديار الخربة ، والدول الزائلة ، والحكومة المضاعة ، وشعره في البكاء والرثاء نوعان : بكاء الديار ، واضطراب الأمن ، وضيعة الدين ، وتفرق مجالس الإخوان ، وذهاب السلطة من أهلها وذلة الاسلام، وشـعره هذا أقوى حزنا وأشد لوعة لمـا يتصل به من قضايا

(١) وهم بعض الباحثين (انظر الحركة الادبية : ٦٤) في تحديد وقت النقائض والهجاء بأنها كانت في عهد الملك عبد العزيز ، وأن الهجاء كان موجها إلى الدعوة وحاميها لكن الواضح أن وقت النقائض إنما يمتد خلال فترة التاريخ الأسود من أيام اختلاف الأيام بعبد الله بن فيصـل حتى بداية الـدولة السعودية الثالثة ، وقوته وكثرته كانت في فترة ما بين الدولتين ، خـلال قرابة ٣٠ عاما .

الأمة[1] ، وقد مر ذكر شيء من ذلك[2] .

وإنه لشيء فريد عند الشاعر أن يكون بكاؤه قضايا الأمة ، أشد لوعة من بكائه نفسه وأحبابه ، وقد عرف النقاد ان الشعراء عادة يجيدون الحديث عن أنفسهم أكثر مما يجيدونه وهم يعرضون آلام المجتمع .

فرثاء الأشخاص من علماء وزعماء وأمراء ، يبدو فيه الشاعر أقل استرسالا ، وأضعف لوعة ، ولعل لذلك صلة بعدم عناية الشاعر بالأمور الشخصية ، ومن رثائه قوله في حمد بن عتيق[3] :

على الحبر بحر العلم بدر المنابر وشمس الهدى فليبك أهل البصائر
واية عين لا تشح بمائها عليه كثج المعصرات المواطر ؟
... يعز علينا أن نرى اليوم مثله لحل عويص المشكلات البوادر

وشعره في المديح استأثر به رجلان عاصرهما : عبد الله بن فيصل[4] ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن[5] ، أما عبد الله فكأن الشاعر يخلط مديحه له بالنصيحة وكانت بينهما مودة ، وقد

(1) انظر قصائده في الديوان : ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ .
(2) انظر شعر البكاء والرثاء والشكوى : ٥١
(3) ديوانه : ٢٨٢ ، وانظر له في الرثاء أيضا : ٣٠٢ و ٣١٢ و ٣٤٣ و ٣٥٨ .
(4) ديوانه : ٢٧٧ و ٢٨١ و ٣٠٧ .
(5) ديوانه : ٢٦٢ و ٢٦٥ و ٢٦١ و ٢٨٢ و ٢٨٩ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٢ .

اشتغل الشاعر كاتبا لديه ، يقول فيه[1] :

مذكى ضرام وقود الحرب إن خمدت ماض على الهول صلت غير ضعضاع
يجول في الناس يوم الروع معتضدا بصارم يختلى الأعناق قطاع

وكان مديحه في الملك عبد العزيز ، إعجابا ببطولة الرجل الذى عاد إلى البلاد ليعيد دولة الدعوة من جديد ، وحضا على مواصلة الكفاح[2]

أذاق الأعادى والبوادى جميعها كئوس حتوف من سمام الأساود
وكم جر من جيش لهام عرمرم يفادى به شوس الملوك السوامد

ويحكم الشاعر القوة ، ويجيد التحريض على القتال . واستنهاض العزائم ، وفي مدائحه تتجلى هذه الصفة :

ولا تتكل يوما على رأى عاجز يميل إلى الإخلاد ليس بذى رشد
ولا زلت وطاء على هامة العدى لك النقض والإبرام والحل والعقد

وله مديح في معاضدى الدعوة ومشائخها وأنصارها كحسن صديق خان[3] ، ومحمود شكرى الألوسي[4] .

وقصائده الإخوانية كثيرة ، وفي ديوانه ما يقارب العشرين رسالة ، كتب أكثرها في العتاب على قلة المراسلة وانقطاع

(1) ديوانه : ٣٠٧ .
(2) ديوانه :
(3) ديوانه : ١٦٩ . ولعل في البيت الاول تحريف صحته : ليس له رشد .
(4) ديوانه : ١٣٦ .

الأخبار ، وبعضها في التهنئة والاعتذار ، وبث الشوق قال[1] :

أضرب من السحر الذي أنت ناظمه ... أم اللؤلؤ المنضود في الرق راقمه
بلى إنه السحر الحلال وانما ... تحل عويص المشكلات عزائمه
أبنت به ما بيننا قبل بيننا ... فلا النيء يفنيه ولا الهجر ثالمه
... وهيج لي من ذكرك العهد لوعة ... فأرق منها الجفن وانهل ساجمه
فلله ذاك العهد لو عاد لانجلت ... هموم وأهمت بالسرور تمائمه

وله شعر وجداني تحدث فيه عن نفسه ، وما يلاقي من عذاب الحياة حين خلاه الرفاق وبقي وحيدا في الميدان ، يعاني الغربة والعذاب[2] :

غريب بعيد الدار تعلوه ذلة ... اذا ما رأى المكروه يغضي ويخرس

وأكثر شعره الوجداني في الذكرى والحنين إلى الأيام الماضية من صباه واجتماع اخوانه[3] :

فيا ليت شعري هل (ثدى) بـ(مشيدة) ... كعهدي به حال الطفولة من عمري؟
(وصدى) وحصن لابن لاحق حولنا ... ويا ليتني أدري أكانوا كما ادري؟
أم الحال قد حالت بهم وتغيرت ... وبدل خير منهمو كان بالشر

(1) ديوانه : ٣٦٦ وانظر معاتباته : ٢٤٦ و ٣٥٢ و ٣٦٧ و ٣٠٤ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٤ و ٣٤٨ : وتهانيه : ٢٤٢ و ٢٥٤ و ٢٦٨ و ٢٧٥ و ٢٨٠ و ٣٥٦ واعتذاراته : ٣٠٣ و ٣٦٦ .

(2) التذكرة : ٢٠٩/٢ .

(3) ديوانه : ٢٩٧ .

وتحدث عن اللصوص الذين كمنوا له ليلة ليلاء[1] :

وقد بت ليـلى كله مترقبـا　　وضيفاً لأرطاة أحاذر أن أبدو

وشكا وجع عينه حين عالجه (دختر) النصارى[2] :

وقدكنت فيماقبل أرجو سلامة　　وعافيـة والله بالخير أقـرب
ولكنـه قـد زادنى ذاك علة　　وداء سوىماكنتأرجوه يذهب

وتحدث عن الفقر والفراق والغربة وتفرق اخوانه ، والدين، والسجن[3] وناجى الذئب الذى اختطف عنـاق أخيـه ، مناجاة طريفة ، فاق فيها الفرزدق[4] .

وغزله قليل جدا ، ولا يرد الا في مطالع القصائد شأنه في ذلك شأن سائر شعراء الدعوة ، أضف الى ذلك أن الشاعر عنى بترك المقـدمة الغزلية ومن ذلك[5] :

والثغر يفتر عن در منضـدة　　كأنهـن أقـاح غـب أمطـار
وعن رحيق عتيق في ترشـفه　　برء السقام وإطفا لاهب النـار
والليل يبدو اذا ما جن معتكر　　من فاحم حالك في اللون كالقار

---

(١) ديوانه : ٢٧٣ .
(٢) ديوانه : ٢٦٢ .
(٣) انظر قصائده : ٣٠ و ٣١٠ و ٢٩٦ و ٢٥٤ و ٢٣٨ .
(٤) انظر سـمات وخصـائص الشـعر ١٤٩ ـ ١٤٠ والقصـيدة في ملتقـى الانهار : ١٨١ .
(٥) ديوانه : ٢٨٨ .

أما الشاعر في اسلوبه فهو أكثر الشعراء حرصا على حذف المطـالع الطللية والغزليـة من القصيدة ، هو أكثرهم في ذلك لا تستثن منهم أحدا سواء في نجد أو غيرها .

وهو دون ابن عثيمـين ، بل ودون ابن مشرف في صـفاء الأسلوب ، ولو توفر له الطبع المصقول ، لكان مع ماله من غزارة شعر ، وتنوع موضوع وحرارة عاطفة وشدة حماس شاعرا كبيرا ، كما أنه أكثر منهما وقوعا في زلق الضرائر الشعرية ، والأخطاء اللغوية ، والألفاظ العامية وذلك يعود إلى أن الشاعر لا يملك الطبع المواتى ، الذى امتاز به ابن عثيمين ، ورغم ضعف الفطرة الشعرية فقد زج نفسه في الشعر الجدلى العقيدى ، على ما يتطلبه ذلك الغرض من فطرة صافية ، لكنه إن فقد كل هذا فهو أقوى الشعراء الثلاثة قدرة على التأثير ، وأحرهم عاطفة ، وأشـدهم حماسا واندفاعا .

وترد الصنعة اللفظية في شعره قليلة مفطورة كقوله[١] :

فيا محنة الإسلام من كل جاهل ويا قلة الأنصار من كل عالم

وقل أن يتكلفهـا ويتعمدها ، ويعز في شـعره مثل هـذا البيت[٢] :

والآن في وصب الأتراح منجرد من كان من طرب الأفراح مبتسما

(١) ديوانه : ٣٣٢ .
(٢) ديوانه : ٣٣٤ .

هذا بالنسبة للطـابع العـام في شعره ، وله بعد ذلك من العبث اللفظي والطلاسم الشعرية مشجر ومدورتان [1] :

وله قصيدة تعليمية كتبها لأحد تلاميذه يعلمـه فيها رسم الحروف وهي على هذا المنوال [2] :

أكتب ككتبي كما قد كنت أكتبه   كتبا ككتبي لهذا الكتب في الكتب

الى آخـر القصيدة المملوءة بالحروف المرددة ، ولعـل استعمال الشعر ليكون كلمات تردد للخط ، غاية لم تدر بخلد امرىء قبل ابن سحمان ، الذي جاء بهذا اللغو ، ومتعلم الخط إن أجاده سيتعلم شيئا آخـر من هذا الشعر ، فسـاد الذوق ، وكراهية العربية .

ويمتاز ايضا أنه الشاعر الذي لا يبدو منه أي اثر لتزويق أو تحسين المدائح يشم منه رائحة طلب الجائزة ، أو استعجالها ، وهذا شيء يخالف ما يوجد في شعر سلفه ابن مشرف وخلفـه ابن عثيمين .

---

(١) ديوانه : ٣٤١ و ٣٠٩ . والتشجير نظم الشعر على شكل شجرة ذات بيت يشبه أصل الشجرة تتفرع من الابيات الاخرى كما تتفرع الفصـون من الأصل والتدوير نظم القصيدة على شكل دائرة يدون أول كل بيت وآخره حرفا يشبه نقطة الدائرة وتكون الكلمة الاخـيرة من البيت ـ معكوسة ـ أول كلمة في البيت التالي .

(٢) ديوانه ٢٣٥ ، وليس صحيحا ما علقه أحد الكتاب على القصيدة (الادب الحديث في نجـد : ٢٦) بأن الشاعر استخدم الشعر في كل ما خطر على باله حتى العبث ، فليس له الا اربع قصـائد من ذلك العبث بكل ألوانه (مشجر ومدورتان وهذه القصيدة) .

٣
محمد بن عثيمين

- ١ -

ولد محمد بن عبدالله بن عثيمين عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م)[(١)] في السلمية (من قرى الخرج) بنجد ، ونشأ بها وتعلم على يدى الخرجى علوم الدين وما يتصل بها من لغة وأدب ، ولما شب عن الطوق آثر التطواف والتجوال في ساحل الجزيرة الشرقى ، مشتغلا بتجارة اللؤلؤ ، متصلا بأمرائها ، وخاصة آل ثانى فقد توثقت صلته بالشيخ على بن قاسم طيلة حياته ، واتصل من بعده بعبد الله بن قاسم ، وكان مخلصا لهم حتى بلغ من اعتمادهم عليه أن حملوه الراية في حربهم لبنى اياس ، الذين قتلوا علي بن قاسم صديقه الحميم ، وكان شجاعاً .

واتصل بآل خليفة بالبحرين أيضا ، وربما كانت صلته بهم قبل صلته بآل ثانى ، لأن أقدم قصائده في مديح آل خليفة ، وربما كان أدبه ومعرفته بالأخبار والأشعار ، مما قربه لهؤلاء الحكام .

واتصل بالملك عبد العزيز منذ فتح الأحساء وترك التنقل في البلاد بعد ذلك ، وآثر المقام بنجد ، يفد على الملك عبد العزيز

---

(١) ولد قبل ابن سحمان ، لم يقل الشعر إلا عام ١٣٢٠ هـ ولذلك اخرت ترجمته

كل عام[1] ويذكرون أنه عاش فترة الشيخوخة في فقـر مدقع ، وبؤس وحرمان ، بعد أن ترك التجـارة لكبر سـنه في السنين العشرين الأخيرة من حياته وتوفي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) بعد عمر تجاوز القرن بثلاث سـنين • وهو قوى الادراك صحيح الحواس لم يخرف ولم يهن عقله [2]

ثقافته وعلمه: يذكرون أنه كان من العلماء الواسعى الاطلاع على علوم الشريعة[3] ، أما في الأدب والتاريخ وأخبار العرب وأيامهم ، فله من ذلك حظ وافر ، واسلوب قصـائده المملوءة بالأخبـار والإشارات التاريخية ، والاقتباس من الشعر القديم والمثل ، دليل واضح على سعة بحره ، وقد شرح بعض قصائده ، وشرحه يدل على سعة الاطلاع على الأخبار والاشعار بصورة لا نعتقد أن أحدا من مواطنيه يشاركه فيها •

ديوانـــه : على الرغم من أن الشـاعر ولد قبل معاصره ابن سحمان بسبع سنين إلا أنه ليس له شعر مذكور قبل عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) الذى نظم فيه اللامية في مديح محمد بن عيسى الخليفة، والشاعر قد بلغ إذ ذاك ستين سنة ، وهذا من أغرب الأمور ، وربما لا نجد له مثيلا في هذه الظاهرة إلا النابغة الذبيانى الذى زعموه قال الشعر بعد الأربعين ، واللامية ــ أول ما عرف من

(١) ديوان الخليفى : المقـدمة .
(٢) ديوانه : ١٥ .
(٣) شـعراء نجـد : ٥٨ .

شعره ــ المليئة بالتراكيب الجزلة والغريبة ، شعر رجل طال مراسه بالشعر ، ولا بد أن شعرا كثيرا قبلها ضاع بين أيدى الزمن ، أضف الى ذلك ان الشاعر بدأ ينظم الشعر بالعامية أول مرة كسائر شعراء نجد .

ينبغى أن نذكر بالشكر محقق الديوان الذى جمع وشرح شعر الشاعر ، فقد أسدى يدا الى الأدب في بلادنا لا ينكر فضلها ، ما دام شعر الشاعر ينشد ويدرس ولولا سعد الرويشد لضاعت البقية الباقية من شعر الشاعر ، فقد عرف عن الشاعر عدم عنايته بشعره ، فجمعه الشيخ من قصاصات عند الشاعر ، وممن قيلت فيهم الأشعار ، ومن الصحف ، وهذا الذى ضاع أكثره شعر وجدانى لم تهتم به صحف ولا رواة ، ولا أمراء ، وقد أشار المحقق إلى بعض القصائد التى سمع بها ولم يجدها ، وهى مرثاة في حفيده ، وقصيدة هنأ بها شيخه الخرجى في زواجه ، وقصيدة مدح بها شيخه ابن مانع[1] ، وقد وجدت للشاعر حديثا ثلاث قصائد إحداهن نبطية[2] .

إن هناك قضايا كثيرة في حياة الشاعر وشعره تظل أسئلة معلقة في الذهن دون جواب ، فأولا : هذا العمر الذى زادوه على

(١) الديوان : ٢٠ .

(٢) ذكر لى الشيخ الرويشد أنه عثر على قصيدة نبطية ، وقصيدتين فصيحتين وسيثبتهما في طبعة الديوان الجديدة . ويشير د. منصور الحازمى في (معجم المصادر الصحفية لدراسة الادب والفكر في البلاد : ١ ـ أم القرى) إلى أن بعض ما نشر في أم القرى من شعره يخالف ما نشر في الديوان تحويرا وتغييرا قد يكونان يسيرين .

المئة ، ما مدى صحة ذلك ؟ ، وثانيا : حوادث الجزيرة التى شارك فيها ابن سحمان ، فأين ابن عثيمين منها ؟ وهو في السلمية في الخرج حيث كان حمد بن عتيق يدرس ويعلم وله تلاميذ ، وحركة علمية ، ومجتمع عانى من تلك الفتن ، فأين صلة الشاعر بهم ، وأين حديثه عن بلاد نجد التى عانت من البلاء ما عانت ؟ أم أن للشاعر شعرا يكون خطا سياسيا مستقلا ، فيه نقد لبعض الجوانب المظلمة ولذلك اختفى هذا الشعر ، أم أن الشاعر قد قضى شطرا كبيرا من حياته يتغزل ويلهو ، وحين أنذره المشيب رجع الى نجد حيث كانت حركة تدين الإخوان تجبر مثله على أن يحرق شعره ، ولذلك نراه حين يتغزل في مطالع القصيدة يتذكرهم فيخشى شرهم فيبادر بالتنصل قائلا : إن غزلى مزح ، وعادة شعرية ؟

- ٢ -

أما الأغراض التى طرقها الشاعر فان المديح هو أكثرها استبدادا بشعره ، فله فيه سبع وثلاثون قصيدة ، وثمان قصائد فقط لم يخصصها للمديح ، وان نسبة قصائد المديح الى شعره نسبة عالية .

ومدح في شعره ثلاث أسر حاكمة ، فمدح آل ثانى ، وآل خليفة ، وكانت بينه وبينهم ألفة ، ومخالطة وصحبة ، ومدح من بعدهم عبد العزيز بن سعود وأولاده وأكثر شعره في مدح الملك عبد العزيز ، وقد واكبه الشاعر في فتوحاته وغزواته منذ فتح

الأحســاء ، وتحدث عنه كثيرا ، وصف أقدامــه على الهول ، ومراسه بالحروب وهمته التى أعادت إلى نجد عزها ومجدها ، بعد أن ضاعت السفينة[1] :

كنــا نمر على الأموات نغبطهم ... من قبله إذ تولى الأمر أشرار
فالآن طابت به الأيام إذ أخذت ... به لأهل الهدى والدين أوتار

ومديحه له يعرض للقضايا السياسية المعاصرة ، ويحاول أن يسدى النصيحة للملك أو لغيره ، ممن يعنيهم الأمر فهو حــين يشق الاخوان عصا الطاعة ، ينصحهم بأنهم مخطئون ، فقد أوجب الله طاعة أولى الأمر ، خاصــة وهم يتدخلون وينتقــدون الملك عبد العزيز في قضايا سياسية لا يدركونها[2] :

فيا معشر القراء دعوة صارخ ... بكم إن يكن فيكم حليم نسائله
..وقولوا لقوم ليس فيهم روية ... ولا نظر ممــا يحــاذر آجلــه
إذا عقــد الصلح الإمام لكافر ... يرى أنه لا يستطيع يطــاوله
وفيه لدنيانا صــلاح ودينـنــا ... ودفع أذى عنا تخــاف غوائله
فذا جائز في الشرع من غير شبهة ... فياليت شعرى هل يفند قائله

وكتحذيره له من الأعداء ، أن لا يستكين إلى الملاينة ، لأن من عاداه لا يمكن أن يصــادقه إلا في ظروف غير عادية ، وهو يبــدىء ويعيــد في حكمة الســيف التى رددها قبله ســديف لأبى العباس السفاح :

(1) ديوانه : ١٠٩ .
(2) ديوانه : ٢٤٣ .

لا يفرنك ما ترى من أناس إن تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

قال ابن عثيمين[1] :

فعاقب وعاتب كل شخص بذنبه فلولا العقوبات استخف الورى الذنبا
فمن سل سيف البغي فاجعله نسكه ومن شب نارا فارمه وسط ماشبا

وفي شعره تجد أول دعوة لعقد ولاية العهد لسعود بن الملك عبد العزيز فقد قال عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) :

واشدد عرى الدين والدنيا بمنتخب من عنصر السادة الفر الميامين
تلتك في خلقك السامي خلائقه تلو المصلى المجلى في الميادين
فرع الأئمة والأذواء من يمن أهل القباب المطاعيم المطاعين[2]

ولا ندرى ماذا تعبر عنه القصيدة من رأى سياسي خاص أو عام حكومى أو شعبى قد تكون القصيدة تعبر عن رأى الشاعر الذى استمده من حب الناس له ، وقد تكون بايعاز من الملك سعود لطلب الولاية على العهد ، وقد تكون من الملك عبد العزيز لأشاعة القضية لجس النبض ، وليتوقع الناس ذلك قبل وقوعه على طريقة معاوية مع مسكين الدارمى ، يؤيد الرأى الأخير قول ابن بليهد حينما ولي سعود العهد عام ١٣٥٢ هـ

---

(١) ديوانه : ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٢) الاذواء من يمن يقصد بهم أخوال الملك سعود من آل عريعر والقصيدة في الديوان .

(١٩٣٣ م)[1] :

رأيت بعـــام الاربعين اشارة بها عرفت منك الولاية والعهد

وابن بليهد ممن توثقت صلته بالقوم[2] ويمكن أن يعتبر من ذلك شعر الحـديث عن الإخوان ، والأعداء ، والتحذيرات السياسية الخفية على الذين عاشوا بعد تلك الفترة ، وقد آثر الشارح عامدا أو غافلا إهمالها على ما قد يكون لها من أهمية في التاريخ السياسي •

وقد وصف الشاعر ضمن مديحه للملك عبد العزيز المواقع والمعارك ، كما في وصفه لإحدى المعارك في الميمية التى سبقت الإشارة اليها في شعر المعـارك والفتوح ، وكمـا في القصيدة المشهورة في فتح الأحساء ، وسيأتى طرف منها في الحديث عن خصائص شعره •

وفي مديح الشاعر تأتى المبالغة في شـعر أصحاب الدعوة أول مرة ، ولم تعرف من قبل حتى جاء هذا الشاعر ، فاقتدى بشعراء العصر العباسي ، وليست مبالغة غالية ولا مغرقة ، بل كانت نوعا مقبولا ، لكن وجودها في بيئة لم تتعود هذا الغثاء جعلها

---

(١) الابتسامات : ١٦٣ .

(٢) مما يزيد في ايضـاح قيمة القصيدة السياسية معرفة تاريخ وفاة تركى (ابن عبد العزيز البكر) قبل القصيدة أم بعدها .

مدار جدل ، ومعرضا للنقاش[1] ، يقول[2] :

مقـدم في المعـالى ذكره أبدا   كما يقـدم باسم الله عنـوان

ويقول[3] :

ليت الذى سكن الثرى ممن مضوا   من أهل بدر والبقيـع المنور
نظروا صنيعك في المدينة والتى   يأوى إليها كل أشـعث أغبر
كى يشهدوا أن الفضائل قسمت   بالفصـل بين مقـدم ومؤخر
وليشهد الثقـلان ما أوليتهم   من أمنهم من بعد خوف أعسر
ظفر الحجاز من الزمان بغبطة   بعد النبى وصحبـه لم تخبر

أما قضية تكسب الشاعر بشعره فهى قضية أثارت الملابسات المتناقضـة في شعره وفي حياته يقول الشـاعر يخـاطب الملك

---

(١) اضطر الشاعر إلى الاعتذار من مبالغته بالرائية حينما هجم عليه سليمان بن سحمان وقد وصف أحد الكتاب (الادب الحديث في نجد : ٤٥) شعره بخلوه من المبالغة مستدلا بقوله (الديوان) :

عسى أن نراها سـيرة عمرية   يدين لها غرب البلاد ومشرق

وقال انه يستطيع أن يقول : السنا نراها ، لكنه آثر ترك المبالغة . والواقع ان الشاعر لا يستطيع ان يقول : السنا ، لانه في مقام عرض فضل الملك عبد العزيز على الاخوان ولو قال ذلك لاخطأ المقـام في مخاطبة الاخوان اذ يدعى أن سـيرة الملك كسيرة عمر .. ولو سلمنا جدلا بوجاهة ما قال فان أبيـات الشاعر الاخرى تعارض هذا الرأي .

(٢) الـديوان : ٦٩ .

(٣) الـديوان : ١١٥ و ١١٦ .

عبد العزيز[1] :

ولم أمتدح عمري سواك بداية ولكنما خير من الخير صانعه

يذكر انه لم يمدح الأولين من آل خليفة وآل ثاني بداية لطلب العرف والنوال ، بل مدحهم شاكرا خيرهم ، وهذا جانب ضمني من البيت ، والجانب الصريح انه مدح الملك ابتداء دون معروف سابق ، والشاعر يعني بذلك ماذا ؟ هل يريد أن يقول ليس بيننا معرفة سابقة فأكثر في العطـاء كي تتوثق المعرفة . يدل على ذلك قوله : خير من الخير صانعه ، أي صحيح أن شعري خير ، لكنك بنوا لك خير مني ، أم يريد أنه يمتدحه ابتداء ليس لطلب معروفه بل لأنه معجب بالعظماء والأبطال ، ويقول[2] :

فارقتهم أمترى أخلاف سائمة يسوقها واسع المعروف منان
لعل نفحة جود من مواهبـه يروى بها من صدى الاقتار عطشان
أريش منها جناحا حصه قدر شكا تساقطه صحب واخوان

وهذه الأبيات واضحة في طلب الجدوى ، فالشاعر يفارق أولاده ليمتار كما يفارق مواطنوه أوطانهم يمتارون من الكويت والاحسـاء .

هذا جانب من أبياته التي تدل على طلب المـال في ذلك يقول[3] :

---

(1) الديوان : ١٩٠ .
(2) ديوانه : ٥٣ ـ ٥٤ أمترى : أستدر ، حصه : حلقه .
(3) ديوانه : ٢٨١ ، ٢٨٢ . جاجأ للابل : دعاها الى المـاء فقال : جيء جيء . وب تسهيل لوبيء مكان وبيء : كثير الأمراض .

يقول أناس إنما جاء مادحـــا ليحظى بسجل من نداك المقسم
وما علم الحساد أنني بمدحكم شرفت وعندي ذاك أكبر مغنم
وكم رامـــه مني ملوك تقدموا وقبلك ما عرضت وجهي لمنعم
وكم جأجأوا بي للورود فلم أكن لأشرب من مـــاء وبي متوخم

وفي هذه الأبيات يسجل الشـــاعر اتهام النـــاس له بطلب المـــال ، ويبدو انه لا دخان من غير نار فهؤلاء الذين رأوا تردداه على الملوك والأمراء قد أشاعوا حوله إن صدقا وإن كذبا ٠

لكن السؤال المعلق من الذين طلبوا من الشاعر المديح قبل الملك عبد العزيز ، وما ملك نجدا وما حولها إلا آل الصباح في الكويت ، ومحمد ابن رشيد في نجد ، وآل ثاني وآل خليفة في قطر والبحرين ، أما آل الصباح فلم يذكر لنا ان الشاعر قصد كويتهم ، واما ابن رشيد فرجل بدوي أمي لا يهمه مديح يقال بالفصحى ، أما آل ثاني وآل خليفة فما ترك الشـــاعر شيئا من المديح لم يقله فيهم فهو في البيت الثالث كاذب ، وماذا ترك من المديح للناس وقد قال ما يتجاوز ثمانين بالمئة من شعره ٠

مال بعض الباحثين إلى عفة الشاعر ، وإنه لم ينطلق إلى العطاء مقابل مديحه ، وهم يستدلون على ذلك بواقع حياة الشاعر في آخر عمره ، وكيف قضاها فقيرا معدما مدة عشرين سنة ، وبأن شعر الشاعر لم يكن مفهوما من قبل الملوك الذين يمدحهم لمـــا فيه

من غرابة ، وديباجة جزلة وقد كان يجهد كثيرا قبل أن يحصل له الاذن بالدخول عليهم [1] .

والواقع أن قضية فقر الشاعر في آخر عمره متصلة بأسباب كثيرة منها مدى ما يسرف الشاعر أو يقتصد في مصروفه ، وانقطاعه عن المديح الذى تنقطع عنه به الصلات ، أما كون شعر الشاعر فيه شيء من الغرابة ، فالحكام مهما كانوا ، لم يعرفوا بنحو سيبويه ، ولا بغريب المعرى ، انما هم مثل غيرهم يكتفون بما يفهمون عما لا يفهمون ، ويقدرون قيمة الشعر السياسية والأعلامية ، وما منعت أمية المعتصم وجهله أن يقدر قصيدة لأبى تمام في اغرابها وغموضها .

أما قضية الإذن بالدخول فالأمر فيها أسهل من كل ذلك .

يقول أحد الباحثين : « الذى أنكره أن لا يكون الشاعر منطلقا الى العطاء مقابل مدائحه » [2] وهو رأى أيضا لا يبدو صحيحا وإن كان أقرب من سابقه .

الذى يبدو أن ابن عثيمين في مديحه مدفوع بثلاثة عوامل هي في الأهمية على الترتيب : أولها الإعلان عن شعره فهو يتصل بالكبراء لا ليخلدهم ، بل هم شيء من موضوعات شعره ، وهو

---

(١) ذهب الى هذا الرأى ابن ادريس ، في شعراء نجد ، والرويشد في مقدمة الديوان .

(٢) الاتجاهات الشعرية المعاصرة في نجد (مخطوط) : ١٢٠ .

يدرك كيف خلدت قصائد شعراء البطولة بجانب رجالها كالمتنبى وأبى تمام ، وهو في مجتمع جاهل ، لا يهزه شعر فصيح في أى شيء ، فالمديح شيء مناسب له يكشف به عن مواهبه ، ونبوغه الضائع في هذا الوادى المجدب ، وهو صادق حينما يقول « بمدحكم شرفت ، وعندى ذاك أكبر مغنم » وفي المديح مجال كبير لشهرته ، يكفى أن نتذكر أن البائية التى قالها في الملك عبد العزيز جعلت له صيتا وذكرا في المجتمع .

الثاني : طلب المال وهو في كل شعره حتى في قصيدته التى شكا فيها الحساد لا يستطيع أن يقول أننى لم آت طالب معروف ، بل قال « وقبلت ما عرضت وجهى لمنعم » ، فهو يمدح لأغراض كثيرة ، لكن المال مطلوب ، ليس بحد ذاته ، وطلب المال أو التكسب هو الذى تفسر به كثرة مدحه ، فله فيه سبع وثلاثون مديحة ، ومجموع قصائده خمس وأربعون قصيدة وهو سر وقوفه في عتبات كثيرة .

وثالثها : المشاركة في المبدأ والتعبير عن روح الجماعة ، ولذلك أكثر المديح في الملك عبد العزيز وأشاد ببطولته ، ويدل على أهمية هذا اللون عنده حديثه عن الأعداء والضغائن ، وإشادته بأهل الدين والإخوان وإسداؤه النصيحة في كل مقام ، وقد أخرنا هذه القضية لأن الشاعر يبدو وإن تفوق في الموهبة والطبع ، أضعف من ابن مشرف وابن سحمان عاطفة إسلامية وايمانا بالفكرة .

- ٣ -

أما غزل الشاعر فهو تقليدى ، خاص بمطالع القصائد ، يعود فيه الشاعر الى الأطلال الجاهلية[١] :

خليلى لو ابصرتما يوم حاجر	مقامى وكفى فوق قلبى أبادله
عشية لاصبرى يثيب ولاالهوى	قريب ولا دمعى تفيض جداوله
لأيقنتما ان الأسى يغلب العزا	وأن غـرامى لا غـرام يماثله
.. نظرت إلى الأظعان يوم تحملوا	فأشرقنى طل الدموع ووابلـه
مضوا ببـدور في بروج أكلـة	بهن حليم القلب يصبو وجاهله
و فيهن مقلاق الوشاح إذا مشى	تملك حبـات القلوب تمايـله

ويمضي على هذا النسق حتى يأتى بالصور الغزلية الساخرة التى تمثل لك مسخا من عباد الله ، أسفله رمال يبرين وأعلاه بدر:

يلوث على مثل الكثيب إزاره	وأعلاه بدر قـد تناهى تكامله

ويفطن إلى أن هذه القصيدة مقولة لدعوة الإخوان إلى لزوم الطاعة ، وهم الذين يرون في غزله شيئا يستوجب حـدا أو تعزيرا ، وهم في شدة تعصبهم الدينى فيبادر بالاستغفار :

وزعت التصابى إذ علا الشيب مفرقى	وردعتـه توديـع من لا يجامله
و فئت إلى رشدى وأعطيت مقددى	نصيحى فمهمـا قالـه أنا قائله

وخوف التعصب الدينى هو الذى يجعله أيضا يتنصل في

---

(١) ديوانه : ١٣٦ ـ ١٣٧ .

كل قصيدة أو يعتذر [1] :

تلك العهود التي ما زلت أذكرها — فكيف لا والذى أهواه سمارى
استغفر الله لكن النسيب حلى — يكسى بها الشعر في باد وفي قار
قد أنشد المصطفى حسان مبتدأ — قولا تغلغل في نجد وأغوار
أغراء واضحة الخدين خرعبة — ليست بهوجا ولا في خمس أشبار)

ويقول [2] :

توبة ربى وغفرانا لما — قلت شعرا وهو تشبيب ومزح

ولا نقل هذا من شعر التوبة ، لأن الذى يتوب الى الله لا يعلم الله ان غزله تشبب ومزح ، فالله عليم بذات الصدور . لكنه يستغفر المتزمتين .

ويبدو أن أهل التزمت لاحقوه حتى عقر داره ، يذكر ابن إدريس عن بعضهم أن الشاعر مزق كثيرا من شعره العاطفى قبل وفاته خيفة عيب المتزمتين [3] :

وله في المعارك وصف رائع ، ووصف الرحلة والسفر والصحراء ، مما يأتى عارضا في أغراض المديح ، وقد طاب لبعضهم أن يلوم الشاعر كيف أهمل وصف الطيارة والقطار ،

---

(۱) ديوانه : ۲۹۳ خرعبة : لينة ناعمة ، هوجاء : طويلة خفيفة .
(۲) ديوانه : ۳۲۹ .
(۳) شعراء نجد : ٥٩ .

وقال انه لم يصور البيئة [1] ، والواقع ان الشاعر وصف بيئته وهو المولود عام ١٢٦٠ هـ المكونة من جمل وحصان وفلاة ورحلات ، أما السيارة والطائرة والقطار والبرق فإنه لم يعرف أكثرها ، وان وجد أولها في آخر حياته ، وله أشعار في الرثاء خيرها البائية التى رثى بها شيخه الخرجى ومطلعها :

إلى الله في كشف الشدائد نهرب وليس إلى غير المهيمن مهرب

وليس له شعر في الهجوم أو الهجاء ، أيا كان نوعه سياسيا أو مذهبيا أو شخصيا ، على خلاف شعراء الدعوة . وهو يعلل ذلك بأنه لا يهجو أحدا قط مهما بلغ به من الإساءة ، وهذا طيب في حد ذاته ، لكن الشاعر يقول أيضا إنه لم يترك الهجاء عجزا ، فليس من العسير على من يقول عافاك الله أن يقول أخزاك الله (الديوان : ١٦) وكلامه هذا ليس بشيء فان الهجاء بكل أنواعه موهبة تتصل بالنقد ، هى القدرة على كشف الأخطاء ، وتوزيعها وابرازها بصور موحية .

- ٤ -

وإذا تجاوزنا موضوعات الشاعر إلى السمات العامة في شعره وجدنا من ذلك الحكمة وضرب المثل ، وابن عثيمين رجل حنكته الحياة ، ودربته قبضا وبسطا ، وعسرا ويسرا ، وطال

---

(١) الأدب الحديث في نجد : ٤١ .

عمره ، وكثرت أسفاره ، فكانت لذلك حكمته كثيرة ، أكثرها دعوة الى الحذر ، والفطنة لمكائد الناس ، مع ظاهرة القوة التى وجدت عنده وعند سائر شعراء الدعوة يقول [١] :

إذا صحب المرء الجديدين أحدثا   له عبرا تشجيه مرأى ومسمعا
إذا صفوها لاقى إليه مسلما   وأوسعه بشرا أشار مودعا
فلاتك ولاج البيوت مشاكيا   بنيها ولو تلقى سماما منقعا
فأكثر من تلقى من الناس شامت   عليك وإن تعثر يقل لك لالعا

والصلاة على المصطفى لازمة في شعره لا تفتقدها البتة يتمسك بها أكثر من سلفه ابن مشرف ، حتى إنه يمكن الاستدلال بها على تمام القصيدة أو نقصها ، ومما جاءت فيه الصلاة مناسبة قوله [٢] :

فالله ينزله عفوا ويرحمه   فانه جل قدرا أرحم الرحما
ثم الصلاة على من في مصيبته   لنا العزاء إذا ما حادث عظما

وإذا كان أكثر من ابن مشرف التزاما للصلاة على المصطفى فإنه أقل منه في الادلال بشعره ، وهى خاصية جاءت عندهما دون غيرهما من الشعراء ، قال ابن عثيمين [٣] :

ودونك مدحا عن مقامك قاصر   وفي نفسه عند الرواة جليل
أزاركه فكر بمدحك مولع   لأن مكان القول فيك يجيل

---

(١) ديوانه : ٣٨٨ ـ ٣٨٩ لعا : كلمة دعاء بالسلامة ، تقال للعاثر ، وانظر القوة في خصائص شعر الحركة : ١٣٠ .
(٢) ديوانه : ٤٦٧ .
(٣) ديوانه : ٣٧٨ .

وشعره ليس من الغرابة بمكان ، لكنه الرجل المطلع على أشعار العرب وأخبارهم المتمرس بأساليب اللغة ، المحيط بشواردها ، لا يستطيع قارىء العصر الذى لم يتمرن سمعه على الأسلوب القديم الجزل ـ فهم بعض شعره ، وأقصى حد يصل إليه شعره في الغرابة قوله (١) :

وموارة الضبعين محكمة القرا   أمون السرى عبر الهجير ذمول
بعيدة ما بين الترائب جسرة   تلاحظ ظل السوط أين يميل
جشمت عليها الهول أما نهارها   فوخد وأما ليلها فذميل

ولغته هى اللغة التى درج عليها شعراء الجاهلية ومن بعدهم : الجزالة ، والقوة والمتانة ، والتركيب الفخم ، وقد سلم من الأسلوب العلمى ، لجودة ثقافته ، وسلم من طريقة النظامين من قبله كابن سحمان وابن مشرف لفحولته ، وصفاء مذهبه الأدبى ، هذا إذا استثنينا بعض القصائد التى قالها متوخيا فيها السهولة ، وقرب المأخذ للعامة لكى يفهموها ، كقصيدته اللامية التى مر عرض مطلعها وشيء منها ، ففيها يسف أسلوبه ، حتى تتحول بعض أبياته إلى نظم ، اضافة الى إكثاره فيها من الاقتباس

---

(١) الديوان : ٣٧٤ موارة : كثيرة الحركة ، سريعتها . الضبعان : العضدان . محكمة القراء : محكمة عظام ظهرها . امون السرى مأمونة العثار . عبر الهجير : تقطع الهاجرة ذمول : لينة السير . الترائب : عظام الصدر . جسرة طويلة ضخمة . جشمت : ركبت . وخد : سريع . ذميل سير لين .

والتضمين للحجج والأحاديث ، وهذا ليس من مذهب أهـل الشعر ، لكن الشاعر قصد فيها السهولة ليستطيع بدو الإخوان فهمها • ومن الضرائر التى ينساق اليها الشاعر ، قصر الممدود وهو فيه واحد من ذلك العالم من ابن غنام الى ابن سحمان[1] ، وتسكين ما حقه التحريك ضرورة قل ورودها في شعرهم ، لكن الشاعر انفرد بالإكثار منها [2] كقوله [3] :

تقول إلى من نطلب العرف بعدما   على قاسم المعروف بنيت نصائبه

وقولـه [4] :

هم جددوا الدين إذ خفيت معالمه   وفللوا حد كسرى يوم ذى قار

وموسيقاه كلاسيكية رزينة هادئة ، في قوة وثقل ، وانسياب يختار البحور الطويلة كثيرة التفاعيل ، ويتخير القافيـة الرنانة المقيدة التى لا تختم بالسكون ، وهو في ذلك يجارى الذوق في

---

(1) انظر الصفحات التالية من ديوانه : ١٤٩ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٣٠٣ و ٣٢٧ و ٤٦٣ و ٤٦٧ و ٤٨٧ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٤٧ و ٢٩٥ .

(2) انظر الصفحات التـالية من ديوانه : ٨٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٧٥ و ٣٠٣ و ٣٠٦ و ٣٢٣ و ٤٨٢ .

(3) ديوانـه : ٤٤٧ .

(4) ديوانه : ٢٩٥ ، ومثل هذه الضرائر لا تخفى على مثله فيمكن ان يقول في الأول شيدت وفي الثانى ضاعت وهو سهل التعديل ، فكيف وقع ذلك يمكن أن نستدل بذلك على انه لا يعنى بتنقيع شعره أم أن تحريفا وتصحيفا وقع في مسودات الديوان ، أم ان الشاعر يركن الى التعديل لحاجات تتصل بالنشر ، والذوق العـام الذى كان المتزمتون والإخوان يحكمونه ، لا استبعد الأسباب الثلاثة كلهـا .

عصره ، حيث يترنم القراء بشعره وشعر معاصريه ركبانا وقعودا في مجالسهم ومساجدهم وقل ان تجد في شعره هشما أو ثقلا أو نشازا •

وفي شعره الأول مديح آل ثانى وآل خليفة ورثائهم ، تأتى المقدمة الغزلية والوقوف على الديار كثيرة لازمة كقوله في مديح محمد بن عيسى الخليفة [1] :

ضمان على أن الفــرام طويل — إذا شحطت دار وبان خليــل
أقول لنفسي حين جد بى الأسى — نهيتك عن ذا والفريق حلول

لكنها تأخذ في الضمور ، وتحل محلها كثرة الجد والدخول بالموضوع دون مقدمات وخاصة في المناسبات والفتوح كما قال في فتح حائل [2] :

منــال العــلا إلا عليك محــرم — وكل مديح في ســواك مذمم

والسبب فيما يبدو نضوج الشــاعر الفنى ، وجدية أكثر المواقف التى تناولها في الأخير ، وانما يولد الشعر القوى الحب أو الحرب •

وهو في تأثره الشعرى متأثر بمدرســة الشعر القديم من زهير الى أبى تمام ، وأكثر شعره ينزع هذا المنزع ، ويتخذ هذا

---

(١) الـديوان : ٣٧١ .

(٢) الديوان : ١٥٢ .

الطابع ، حاذيا حــذو الركب في معناه ومبناه وخياله وأسلوبه محتفظا بشخصيته حينا ، مضيعا لها في أحيان كثار • وأوضح مثال لضياع شخصيته بائيته في فتح الاحساء ، التى أصبح فيها شبحا مصلوبا فوق أبيــات أبى تمام تميل به الريح ، فيختفى تارة ، ويظهر أخرى ، وهذه أبيات منتقاة مما ضاعت فيه روح الشـــاعر [1] :

العز والمجد في الهندية القضب ... لا في الرسائل والتنميق للخطب

.. فسارمن نفسه في جحفل حرد ... وسار من جيشه في عسكر لجب

حتى تســور حيطانا وابنيــة ... لولا القضاء لمــا أدركن بالسبب

لكنها عزمــة من فاتك بطــل ... حمى بها حوزة الإسلام والحسب

وفي قصيدته الميمية تأثر واضح بمعلقة زهير رغم اختلاف حركة الروى [2] :

منال العــلا إلا عليك محــرم ... وكل مديح في ســواك مذمم

وفي داليته التى مطلعها [3] :

تهلل وجه الكون وابتسم السعد ... وعاد شباب الدهر وانتظم العقد

تأثر بدالية الحطيئة •

---

(1) الديوان : ٢٩ ـ ٣٣ حرد ، غاضب ، لجب : كثير .

(2) الديوان : ١٥٢ .

(3) الــديوان : ٣٥٦ .

أما منزلة الشاعر بين شعراء عصره فكما يقول الغزاوى الذى عاصره واستلم شعر المديح من بعده ، إنه شاعر الجزيرة العربيـة في زمانه دون منازع [١] ، وهو حرى بذلك فهـذا المستوى الشعرى ، والثقافة العريضة ، التى هذبها الطبع والموهبة يجعله فوق مستوى عصره المتخبط في التقليد •

ولابن عثيمين ميزتان في الشعر أولهما : انه أول من نقل ريادة الشعر في نجـد من الشعر العامى إلى الشعر العربى الفصيح ؛ وقد كانت ريادة الشعر من قبل بأيدى شعراء النبط ، حتى جاء ابن عثيمين فكان له من الثقافة والموهبـة والأصالة ، ما أعاد به هيبة الشعر الفصيح •

والثانية : أن شعره شعر الفحولة والسليقة ، والشاعر حين استطاع تخطى عصور الإنحطاط ، من آل البهاء زهـير ، وآل التخميس والتشطير والتشجير والبديع ، الى الشعر القديم جاهليه واسلاميه وعباسيه ، يعتبر رائدا في هذا المجـال وهو أول من تخلص من العبث اللفظى في شعراء البلاد كلها ، من خليجها الى أحمرها • سقط بظهوره أسلوب النظامين عند القوم ، وسـقط

(١) شعراء نجـد : ٥٧ .

أسلوب أهل البديع ، وعادت الى الشعر ديباجته القوية ، وطلعته الصافية ، وهو كما يقول ابن إدريس بارودى الشعر في المملكة ، ووجوه الشبه بين الشاعرين واضحة فكلاهما حمل لواء التجديد في الأسلوب ، وأعاد اليه الرونق والرواء ، وإن كانت الظروف السياسية والاجتماعية أتاحت للبارودى مجالا أوسع من مجال ابن عثيمين ، لأنه شـاعر فارس يهاجم الاستعمار ، ويدافع عن الحمى ، ومن مظاهر الوعى السياسي عنده ثورة عرابى ، ولهذا أبدع ووسع خاصة في الوطنية .

أما ابن عثيمين فلم يستطع في جو ملبد بالجهـل والأميـة أن يفعل أكثر من إعادة الديباجة العباسية [١] .

لا يقلل من قيمة الشاعر أن الجيل الجديد من بعده لم يتبع مساره واتصل مباشرة بالأدب قديمه وحديثـه ، دون وساطة الشاعر ، ويكفى الشاعر فضل الريادة .

---

(١) **الشعر في المملكة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (بحوث مؤتمر الأدباء ٢/٦٤٩ ــ ٦٥٢) .**

٤
شعراء آخرون

١ ـ حسين بن غنام .

يعد حسين بن غنام من الفقهاء ، وعلماء العربية المتضلعين ، ومن المؤرخين الأولين ، أكثر مما يعد في دولة الشعر ، لكن ظروف نشأة الدعوة وعدم وجود شعراء يعبرون بلغتها أول نشأتها جعلت منه اللسان المدافع عن الدعوة ، طيلة قرابة ربع قرن ، فاندفع الى ذلك ، وكان في علم العربية وثقافتها وأدبها متمكنا ضليعا ، مما خوله النهوض بهذا الدور الثقيل .

ولد في المبرز احدى بلدان الأحساء ودرس العلوم الدينية على علماء المذهب المالكى ، وضم إلى ذلك تفوقا في علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، فما أن فتحت الدولة السعودية الأحساء ، حتى اقتدبه الإمام عبد العزيز بن محمد لتدريس العربية في الدرعية الناشئة ، حيث تخرج على يديه رعيل كثير من جلة علماء الدرعية ، كسليمان بن عبد الله آل الشيخ ، وحمد بن ناصر ابن معمر ، وقد كان من ثمار رحلته إلى الدرعية كتابه في تاريخ دعوة الإمام الذى أرخ فيه للدعوة والداعية وسجل رسائله ، ويعتبر مرجعا مهما لتلك الفترة ، وقد سماه « روضة الأفكار

والافهام ، لمرتاد حال الإمام ، وتعداد غزوات ذوى الإســلام »
ولكن الرجل حشا الكتاب بأسجاعه المملة مما صعب الاستفادة
منه ، حتى أن بعض الفضلاء قام بطبعه ونشره ملخصا ، مجردا
من الاسجاع [١] ، وله كتاب « العقد الثمين في أصول الدين »
مخطوط [٢] توفي عام ١٢٢٥ هـ [٣] .

ولم يجمع ابن غنام ما له من شعر في ديوان ، ولذلك ضاع
كل ماله ، ولم يبق إلا ما يتصل بالدعوة ، مما أثبته في تاريخه ،
في النقائض ، والتهنئة بالنصر ، والرثاء وحصيلة ما وجدت له
في تاريخه وغيره تسع قصائد ست في تاريخه وثلاث من مصادر
أخــرى :

(١) قصيدة في انــتصار الدعوة مطلعها [٤] :

نفوس الورى إلا القليل ركونها إلى ألفى لا يلفى لدين حنينها

(٢) قصيدة بمناسبة فتح الرياض وجلاء دهــام بن دواس

---

(١) أســند الشيخ عبد العزيز بن محمــد بن ابراهيم آل الشيخ الى الدكتور ناصر الدين الأسد تلخيصه وترتيبه وطبع الكتاب باسم « تاريخ ابن غنام » ولست مطمئنا إلى دقة التلخيص بله أن الملخص حذف أشعار المؤلف وغيره ، التى قيلت في الأحداث ، وهى أشياء ذات قيمة تاريخية وأدبية ..
(٢) مخطوطات المكتبة العلمية (دار الافتاء) الرياض .
(٣) تاريخ الاحساء : ١٠٤/٢ ، تاريخ نجــد (حوادث عام ١٢٢٥ هـ) شــعراء هجــر ٥٠ .
(٤) تاريخــه : ٦٧/٢ .

مطلعها [1] :

كشف الحق ظلمة الأغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس

(٣) قصيدة تهنئة بمناسبة فتح الاحساء [2] :

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الطهر

(٤) قصيدة في جواب محمد بن أحمد الحفظي ، على قصيدته في تهنئة الإمام عبد العزيز بالنصر في معركة كربلاء ، مطلعها [3] :

أمصباح مشكاة أم الكواكب الدرى؟ أسمط من المرجان فصل بالدر؟

(٥) قصيدة في الثناء على صديقه عبد الله الكردى ومطلعها [4] :

حكت أدمعى يوم الوداع الغمائم وشابه نوحى في الرباع الحمائم

(٦) قصيدة في الثناء على صديقه أحمد بن عبد الله العبد القادر ومطلعها [5] :

هل الدعص إلا ما حواه إزارها أو البان إلا ما أبان اهتصارها ؟

(١) تاريخه : ٨٦/٢ .
(٢) تاريخه : ٢٣٧/٢ .
(٣) نفحات من عسير : ٦٣ و ٦٦ .
(٤) شعراء هجر : ٥٤ (وشك فيها صاحب مشاهير علماء نجد : ١٨٠) .
(٥) مختارات آل عبد القادر : ١٧٠ وتاريخ الاحساء : ٦٩/٢ . الاهتصار : الغمز والامالالة والثنى .

(٧) قصيدة في مناقضة قصيدة محمد بن فيروز الطائية التى امتدح بها ثوينى ابن عبد الله وحيا سعيه للقضاء على الدرعية ، فناقضه ابن غنام بقصيدة مطلعها [١] :

على وجهها المرسوم بالشؤم قد خطا عروس هوى ممقوتة زارت الشطا

(٨) ورثا الإمام محمد بن عبدالوهاب بقصيدة مطلعها [٢] :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع وليس إلى غير المهيمن مفزع

(٩) وقصيدة في الرثاء مطلعها [٣] :

عين جودى بواكف هتان واسكبى عبرة من الأجفان

وقد يوجد له شعر في كتب مخطوطة وأوراق لم تنشر ، يدل على ذلك أن الكتاب الحديث « شعراء هجر » أثبت له قصيدة غير ما عرف من قبل .

وفي شعر ابن غنام تتجلى ميزتان : الأولى : ميله كسائر شعراء الدعوة إلى المطالع المجردة من الغزل والتي تناسب المقام في حرب أو سلم ، أو تهنئة ، أو تعزية ، أو رثاء ، او هجاء ، وإذا استثنينا القصيدتين اللتين يمكن أن نعتبرهما من الشعر الشخصي ، فان كل قصائد الرجل تمثل هذا الطابع ، كما تمثل

---

(١) تاريخه : ٢/١٩٠ .
(٢) تاريخه : ٢/١٥٥ .
(٣) تاريخه : ٢/٦٧ .

روح التأله التى عرفت في شعر الدعوة ، فتجد المطلع متصلا بالله ، حمدا أو شكرا ، أو تضرعا ، أو ابتهالا .

الثانية : ان شعره يمثل روح شعراء البديع ، من عناية واضحة بالاستعارة ، والتشبيه ، والمجاز ، والتشخيص والتصوير ، كقوله [1] :

أو الفجر إلا ما بدا من جبينها	أو الورد إلا ما جلاه احمرارها
أو الليل إلا من معسعس شعرها	أو الخمر إلا ظلمها لا عقارها
مهاة تريك الشمس طلعة وجهها	إذا أسفرت يجلو الظلام نهارها

وقوله [2] :

فأضحت به السمحاء يبسم نورها وأمسى محياها يضيء ويلمع

وأكثر شعره المعروف في الدعوة ، وأقله في أصدقائه ، ونادره في الغزل .

وهو في قيمته الشعرية ليس من الفحول ، ولا من المجودين ، بل من العلماء الذين هم إلى النظم أقرب منه إلى روح الشعر ، مهما يكن من شيء فشعره كان الوحيد الذى صور حقبة أكثر من ربع قرن من جهاد الدعوة .

---

(١) مختارات آل عبد القادر : ١٧٠ وتاريخ الأحساء : ٦٩/٢ .
(٢) تاريخ ابن غنام : ٥٥/٢ .

٢ ـ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ :

ذلك الرجل القوى الأشدق ، الذى قضى في مصر ٣٠ عاما يدرس ، فجمع ما لم يحط به أهل نجـد ، وعلم ما لم يعلموا خاصة في الأصول ، والجـدل والمنطق ، واللغة العربية ، حتى سموه بالأزهرى ، وكان الرجل حار الدفاع في سبيل ما يعتقد ، لا يفوته أتفه الأمور فضلا عن كبارها ، وقد دخل المسجد الجامع ، أول ما عاد من مصر فسمع المشائخ يقرأون فخطأ الجميع ، فقيل من ذو العمامة الذى يخطىء علماء نجد ، فكان ذلك الرجل الذى أخذ يعلمهم كيف يقرأون القرآن مجوداً مرتلا ، وهكذا كان في كل شـؤونه وكتاباته في شرح الدعـوة والدفاع عنها صريحـاً صارما • ورسائله من أجود ما كتب أهل نجـد أسلوبا وبيانا بل هو أقومهم أسلوبا ، وأفصحهم عبـارة ، لا تستثن متأخراً أو متقدما خلال هذين القرنين • يمزج ذلك بالاستشهاد بالبيت من الشعر ، والشارد من النثر ، ورسائله المطبوعة باسم « رسائل عبد اللطيف آل الشيخ » دليل واضح •

---

(١) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ولد عـام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) في الدرعيـة ، واجلى مع والده إثر نكبة الدرعيـة الى مصر (١٢٣٣ هـ) ودرس على مشائخ الازهر كالبا جورى ، ومحمود الجزائرى ، وعـاد الى نجـد عـام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) وشارك والده في شـد ازر الامام فيصـل ، وانتهت اليه بعد وفاة والـده الرئاسة الدينية ، وتوفي عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) . انظر التذكرة ٢٢٠/١ ـ ٢٣٥ والدرر السنية ٦٦/١٢ وعلماء الدعوة ٤٧ ـ ٤٩ ومجلة العرب شـوال ١٣٩٣ هـ .

وهو دون احتياط أجود آل الشيخ شعراً ، وأول من عرف عنه الشعر منهم .

أما ما وصل إلى الأيدى من شعره ، فأوله الرائية المشهورة التى جاوب بها عبد العزيز بن طوق[1] ، ويتحدث الرجلان عن النكبات التي منيت بها الدعوة إثر سقوط الدرعية ، كما يعرض عبد اللطيف الحالة السياسية للبلاد عرضا لا يوجد في غير هذه القصيدة ، والتى تتجاوز السبعين بيتا ومطلعها[2] :

رسائل إخوان الصفا والعشائر أتتك فقابل بالمنى والبشائر

الثانية النونية ومطلعها [3] :

دع عنك ذكر منازل ومغان وبدور أنس قد بدت وغوان

وهى في الشكوى ووصف التمزق السياسي وجفاء الإخوان ، واختلاف العلماء ، وما نشر منها فوق تسعين بيتا ، ولعل للقصيدة بقية .

الثالثة قصيدة رائية يرد بها على قصيدة عثمان بن منصور النجدى الذى انتصر لداوود بن جرجيس ، وامتدح كتابه التأسيس ، فرد عليه عبد اللطيف بقصيدة منها [4] :

---

(1) انظر الحديث عن قصيدته في شعر البكاء والرثاء والشكوى : ٥٤ .
(2) رسائله (بخط تلميذه ابن سحمان) : ٢٢٨ – ٢٣٠ .
(3) الدرر السنية : ١٩٢/٧ .
(4) الأصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوطة) ٦٠. وانظر حديثا عن القصيدتين في شعر الدفاع عن الحركة : ١٣ .

أيوصف بالإيمان يا عابد الهوى دعاة إلى باب الجحيم؟ وما تدرى

الرابعة قصيدة دالية رد بها على قصيدة للبولاقى اعترض بها على أهل الدعوة وجمع عليهم بعض الحقـائق والأكاذيب ، واعتبر القهوة التى يشربونها والثياب التى يلبسونها بدعة لأنها لم ترد في دين الله ، ولا عرفها رسول الله ، ورأى بدع العادات كبدع الـدين [1] :

ويغلب على الذهن أن للرجل شعرا غير ذلك ، إذ لا يمكن أن يكون بمثل هذا التدفق الشعرى ، وطول النفس في قصائده ثم لا يكون له إلا بضع قصائد ، ربما كانت الظروف المحيطة به وما أقساها وهو سليل أسرة المشائخ ، والعلمـاء يرون الشعر بضاعة المتهاونين ، فلم يرغب أن ينسب إلى الشعر ، وربما كان الرجل ينظم شـعره في موضوعات يستحى منها العالم المتصدر للافتاء والقضـاء والتعليم ، كالغزل ، فآثر أن يطوى خبرها .

وأغراض ما عرف من شـعره في الدفـاع عن الدعوة ، والشكوى ، والشـعر السياسي • وأسلوبه لا يتميز بشيء عن

---

(1) انظر طرفا منها في الدرر السنية وله بيتان آخران انظرهما في خصائص شعر الحركة : ١٤٠ .

أقرانه من علماء نجد الذين يتناولون الشعر بروح النظم ، غير محلقين ولا مجودين •

٣ ــ ابن طوق وابن معمــر :

لأجل استكمال البحث ، أعرض لرجلين عالمين قالا الشعر ، وهما يشتركان في أكثر من خاصية ، أولها : أننا لا نعثر لأى منهما على أكثر من قصيدة واحدة ، والثانية أن مفردتيهما على عــدم شهرة الرجلين بالشعر ، قد كان لهما ذكر وحديث ، والثالثة ان كلا منهما قيلت في الأيام العصيبة ، قيلت الأولى في نكبة الدرعية ، وقيلت الثانية في سقوط عبد الله بن فيصل ، والقصيدتان بعد في مستوى شعر العصر •

قال عبد العزيز بن حمد بن معمر في نكبة الدرعية العينية التى مطلعها [1] :

إليك إله العرش اشكو تضرعا وادعوك في الضراء ربي لتسمعا

وهو أديب فقيه ، ذو شهرة في العلم والدين توفي عام ١٢٤٤هـ

وقال عبد العزيز بن طوق ، وهو من معاصرى عبداللطيف ابن عبد الرحمن آل الشيخ ــ قصيدته التى يشكو فيها الزمان ، وتقلب الأحوال ، وسيطرة الترك على الأحساء ، وقد بعث بها من

(١) سبق عرضها في شعر البكاء والرثاء ٥٢-٥٣ وهي في عنوان المجد : ٣٧/٢ ، ٣٨

الأحساء إلى عبد اللطيف آل الشيخ [1] :

رسائل شوق دائم متواتر　　إلى فرع شمس الدين بدر المنابر

٤ ـ الحفظيون :

أسرة عرفت بالعلم والفضل في عسير ، ينسبون لجدهم أحمد الحفظي الذى عاش ما بين (١١٤٥ ـ ١٢٣٣ هـ) ، (١٧٧٤ ـ ١٨١٨ م) الذى كان أكثر آل الحفظي تحمساً للدعوة ، ودفاعا عنها ونشراً لها ، وهو أكثرهم شعرا فيها ، أثبت له صاحب النفحات عشر قصائد في الدعوة شرحا واشادة ودفاعا ، منها ما كتبه إلى إمام اليمن يدعوه فيه إلى هدم القباب ، والمزارات [2] :

فيا أيها الحى اليماني دونكم　　نداء إلى التوحيد لبوا لداعيه

ومنها ما كتبه إلى أهل المخلاف السليماني يدعو علماءه للدخول في الدعوة [3] :

والحق أولى أن يجاب وإنما　　لم ادر ما حيلولة المتحيل

ويصف الإمام محمدا بقوله :

---

(١) مر عرض القصيدة في شعر البكاء والرثاء ٥٤ ـ ٥٥ وهي في الدرر السنية وفي رسائله المخطوطة : ٢٢٧ ـ ٢٣٠ ١٨٩/٧ .

(٢) نفحات من عسير ٦٠ ـ ٦١ .

(٣) نفحات من عسير ٢٣ ـ ٢٤ .

لا يطلب الأموال من خزانهـا أو يقتل الأبطـال إن لم تبطل

او ينزع الملـك المـولى أولـه غرض بمذهب آخـر عن أول

وله شعر في المراسلات بينه وبين علمـاء عصره ، وزعماء الدعوة في نجد .

وأحمد الحفظى الثانى الذى عاش ما بين ١٢٥٠ ــ ١٣١٧هـ (١٨٣٤ ــ ١٨٩٩ م) في عسير كغيره من آل الحفظى ، وكان يحمل أفكارا اصلاحية ، ونفسا مستعدة للتضحية في سبيل الله ، وقـد طوف الآفاق ودعـا للثورة على حكم الأتراك الذين لم يتركوه يطعن في ظهورهم ، وهم يعـلمون انه ربيب الـدعوة الإصلاحية ، فنفى إلى الأستانة ، ورجع منها لم يتغير ، يدعو الى الثورة على الرجل المريض ، وقام برحلات إلى اليمن ونجـد والحجاز ومصر ، يدعو العرب إلى احتضان الإسـلام وينذرهم بسقوط الرجل المريض قال [1] :

ماكنت يوما أجوب الأرض في سفري لغـير مجـد وإنى غـير ممتهن

وأسمع الناس نصحا قبل قارعة تهدركن القوى من فعلنا الخشن

عسى اتحاد لنا فالأرض واحدة والدين محترم عن فعل كل دن

قد طفت في الأرض أعواما وخضت لما فيها بحورا على البابور والسفن

سبعون شهرا بأرض الروم كاملة ومثلها من ربى نجد الى عـدن

(١) نفحات من عسـير : ١٨٦ .

لكن صيحته ذهبت أدراج الرياح كما ذهبت صيحات معاصريه الأسكوبى ، وعبد العزيز المبارك .

وله قصيدة طريفة جيدة الخيال ، مبتدعة الحوادث ، نسجها من بنات أفكاره ، فأربى فيها وافتن ، ولو ساعدته جودة القريحة وصحة الاسلوب ، لكان لهذه القصيدة مكانة في أدبنا ، قص الشاعر فيها نبأه مع رفاقه في الأسر في بلاد الترك ، إذ هم جالسون ، وإذا بحمامة تقع في شرك صياد كما قال [1] :

مطوقة حنت بأحسن نفمة وقد حجبت عن أهلها والعشيرة

فمضى يناجيها مناجاة تختلف عن مناجاة أبى فراس لحمامته التى تصورها خلوا من الإحساس بالألم ، مناجاة تنبثق من وحدة الشعور بينه وبين الحمامة التى تخيلت أن القوم الأسرى يستطيعون أن يغيثوها فنادتهم ولم تدر أنهم مثلها أسرى :

ولم تدربنت الأرقمين بأننا سواء على الأحوال في دار غربة

فتعجبت كيف يؤسر الكبار مثلهم وقالت : أنا ضئيلة صغيرة ، أعذر أن أسقط في شباك الصيادين لكن ما بال ذوى العمائم من شنؤة . ويظلون مع الحمامة يديرون كئوس الذكرى ، هم يتحدثون عن ديارهم فيبكون ، وهي تتذكر كيف

---

(1) نفحات من عسير : ١٦٦ والأرقم : ما فيه سواد وبياض .

ألقى بها حنوها على صغارها للبحث الطائش عن الطعام ، وإذا هم بشيخ تركى يطلبونه وسيطا يحكم بينهم أيهم أعظم مصابا ، فيستمع الشيخ ، ويبكى بكاء حارا ، لأنه مثلهم في البلوى فقد سجن إخوانه وسلب ماله ، ونزع من أهله ، فيبتهل الجميع في نشيد حزين إلى الله :

فنرجو خلاصا للجميع معجلا	عسى فرج يأتى بتفريج كربة
فلم تخفه الأحوال في كل أمرنا	ولم يخفه المظلوم في كل بلدة
وما الله عما يعملون بغافل	ولكنه يملى لهذا الخليفة

وله قصيدة يدعو فيها الناس إلى تحكيم القرآن والسنة[1].

وأكثر شعر آل الحفظى في نظم العلوم والمتون ، والرسائل الإخوانية ، والمدائح النبوية ، وشرح الدعوة الإصلاحية ، ووصف حروبها وفتوحها [2] .

وأسلوبهم لا يختلف عن طابع أسلوب هذا العصر أسلوب النظم ، لا يتسم بشيء من الجودة ، وكثير منه ردىء ضعيف ، دون مستوى شعر العلماء على ضعف شعر العلماء ، ولذلك آثرت عدم التفصيل في الحديث عن شعرهم الوافر ، الذى يجد فيه مؤرخو السياسة والعلم ، أكثر مما يجد دارسو الأدب .

---

(١) انظر شرح افكار الدعوة : ٧

(٢) نفحات من عسير : ٢٠ ـ ٢٢ والكتاب عرض كامل لسيرهم ومؤلفاتهم واخبارهم واشعارهم .

٥ ـ محمد بن بليهد :

رجل عالم عرف بسعة العلم الجغرافي لبلاد العرب ، نظم الشعر العامى والفصيح ، ولد في القرائن من الوشم بنجد ، وأخذ العلم عن علمائها كأحمد بن عيسى ، وشب ليعمل تاجرا بين البادية والحاضرة ، واتصلت أسبابه بالملك عبد العزيز ، وأولاده من بعده ، خاصة فيصل ، وعمل في مناصب مالية كثيرة ، لكنه لم يترك التجارة ، وابتلى آخرة عمره بالفالج ، وتوفي بإثره عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) [١] :

ويحسب الرجل من العلماء أكثر مما يحسب من أهل الشعر، وله تحقيقات جغرافية للأماكن التى وردت في أشعار القدامى نشرها في الصحف ، كان من حصيلتها تحديده مكان عكاظ [٢] : وكتاب صحيح الأخبار في (٥ مج) • وديوانه الموسوم بـ (ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام) ، يضم شعره الفصيح والعامى ، وحديثا عن كبار شعراء النبط •

وجل شعره في المديح فله أكثر من ٥٠ قصيدة في مديح عبد العزيز ، وولديه سعود وفيصل ، وهو في مديحه طويل النفس ، كثير الإعجاب بمرائى البطولة ، حسبك انه لم يقل الشعر الفصيح إلا وهو كبير عام ١٣٣٧ هـ ، (١٩١٨ م) حين

---

(١) الأدب الحديث في نجد : ٥١ وهو أول من ترجم له .
(٢) الأدب الحديث في نجد : ٥٢ ولا يعترف العلامة حمد الجاسر له بذلك .

انتصر الإخوان في تربة ، فالذى فتق لسـانه في مـديح الملك عبد العزيز شيء كثير يتصل بالإعجاب بالبطولة والأبطال .

وفي شعره تبدو روح الرجل الدموى ، الذى تروق له مرائى الدمـاء وجثث القتلى ، لأنه يراها ثمنا للوحدة ، والأمن الذى فقده المجتمع زمنـا طويلا [1] :

والله لا يطفىء الحزن الذى زفرت	على لمتـه وآلـم الجسـدا
إلا إذا نظرت عينى مصارعهم	يضحى الفثاء على أوصالهم قصدا
يبقى النجيع على أرجاء دارهم	حولا تقلبه الأرياح ما جمـدا

وفي مديحه للملك عبد العزيز يأخذ مسارا جديدا ، لم يأت به الشـعراء من قبل ، وإن بدأ به ابن عثيمين بداية ضعيفة ، الحديث عن مفاخر أجداد الملك عبد العزيز بدء من الجاهلية ، الى وقعة ذى قار وهلم جرا ، وهو مسار غريب قال عن جهاد ربيعة في الجاهلية [2] :

لاتحسبوا قصبات السبق في مضر	إلى المكارم لولا صاحب الغار

يمكن أن تقبل الأذن هـذا النمط في مفاخرات جـرير والفرزدق ، إن ثقافـة الشاعر القديمـة ، دعته إلى هذا النبش الطافح الذى مهد له ابن عثيمين ، خير شعره قصيدة واحدة على

---

(١) الابتسامات : ٤٤ القصد : المتكسر .
(٢) الابتسـامات : ١١٧ .

ضعف فيها ، يرثي بها زوجته ، وقيمة القصيدة تأتى من تخطى الشاعر للأعراف القبلية ، والعادات البدوية التى تمهد للحديث عن المرأة بـ « كرمك الله » وأعجب من ذلك ان سماها ونسبها ، وأرخ وفاتها ، وبين سبب وفاتها ، وهذا شيء غريب جدا ، ورائع أن نسمعه في هذه البيئة التى قال فيها معاصره لمن يواسونه في زوجتـــه [١] :

ومـــا آســـى على شيء تولى	وهل آسى على خلعى نعـــالى

قد أصبحت وتصبح المرأة عند هذا الشاعر نعالا ، أو أقل من ذلك في البيئة الجاهلية ، حيث توأد كرامة الإنسان ، لكنها عند ابن بليهد شيئا عظيما قرينة حياة ، ورفيقة درب يقول [٢] :

كأنى والذى حجت قريش	له بين المشـــاعر واســـتقاموا
سليم ما ينـــام الليـــل طـــرآ	وكل الناس قد هجعوا وناموا
... أبنت الأكرمين ابوك هود	وجـــدك خالـــد وابـــوه ســـام
فما منهم على البيـــداء بـــاق	ولا في بطنهـــا منهـــم عظـــام
ومن شطب إلى أكناف تيمـــا	مصيبـــات آواخرها عظـــام
ولكن ليس ينســـينيك شيء	ولو نسيت مصائبهـــا الأنـــام
... بنفس ما يطيب لها شراب	على شحط المـــزار ولا طعـــام
فما لى بعـــد رحلتكم مـــراد	بتلك الـــدار يذكـــر أو يـــرام
فألقيت الحقـــائب عن ركابـــى	على الشعرا وســـاكنها الســـلام

---

(١) شـــعراء هجـــر : ٢٢٩

(٢) الابتسامات : ٢٥٤ السليم : اللديغ .

وإذا تجاوزنا هذه القصيدة فليس للشاعر ما يلفت الانتباه ، أو يستحق التسجيل ، والشاعر في قيمته ضعيف ، من طراز ابن قيسة بل هو أضعف منه ، ولذلك لا نطمئن إلى ما ذكر أحد الباحثين من أن الملك عبد العزيز أراد ندبه لتمثيل المملكة في مبايعة شوقي بامارة الشعر عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) ، وان الغزاوى الشاعر الفحل يعرض عليه قصائده قبل القائها ، وأن العواد يستضيء بشعره [١] ، فما كان الملك عبد العزيز لينديه ، ولديه شعراء كبار أظهرهم ابن عثيمين ، ومنهم الغزاوى ، وإن صحت الحكاية، فإن عدم تمثيل الجزيرة خير من تمثيلها بمثل هذا الشاعر الذى لم يبدأ مسيرة الشعر الفصيح إلا قبل ثمان سنوات من إمارة شوقى . أى عام ١٣٣٢ هـ ، ولا أدرى بعد هل العواد والغزاوى يستشيرانه في أمور تتصل بالشعر أم لأمور أخرى تتصل بما يناسب مقامات المديح للملك عبد العزيز ، وما يحسن أن يقال أو يترك ، هذا إن صحت هذه الأقوال .

---

(١) الأدب الحديث في نجد : ٥٠ و ٦٠ .

الفصل الثالث

سمات وخصائص عامّة



- ١ -

من السمات البارزة في هذا الشعر الحرص على المطالع الموضوعية التى تتصل بالموضوع الذى يتحدث عنه الشاعر مباشرة ، وليس يعنى هذا القول أن الشعراء أهملوا المقدمة الطللية ، بل إن المقدمة الغزلية سارت بجانب المطالع الموضوعية جنباً إلى جنب ، وكان أكثر الشعر مجافيا المقدمة الطللية ، وليس إهمالهم المقدمة الطللية ناتجا عن وعى أدبى أو حركة نقدية ، بل هو الفطرى الطبيعى ، الذى نتج عن اهتمامهم بالجد ، ومجانبتهم الهزل ، ومن هذه المطالع قول ابن مشرف (١) :

يا غربة الدين فاعجب من تغربه   عند المصدق فضلا عن مكذبه

وقول حسين بن غنام في التهنئة بالنصر (٢) :

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر   وديجور ليل الشرك مزقه الطهر

وقول ابن سحمان في الهجاء والدفاع (٣) :

ضلال ما يؤمله اللئام   وآل لامع ذاك المرام

وقول ابن سحمان (٤) :

أرى كل ما قد قدر الله يكتب   وليس عن المولى مفر ومهرب

---

(١) ديوانه : ٤٣ .
(٢) تاريخ ابن غنام : ٢/٣٣٧ .
(٣) ديوانه : ٢٠٢ .
(٤) التذكرة : ٢/١٨٥ .

وقـــال [1] :

أضرب من السحر الذى أنت ناظمه   أم اللؤلؤ المنضود في الرق راقمه ؟

وقال ابنه صالح بن سحمان [2] :

الفخر للسيف ليس الفخر للقلم   فاكتب به واترك الأقلام كالخدم

وقال ابن عثيمين [3] :

ســـفر الزمـــان بغرة المستبشر   وكسى شبابا بعد ذاك المـــكبر

وقال أيضا [4] :

أبى الله إلا أن تكون لك العقبى   ستملك شرق الأرض بالله والغربا

وقال ابن بليهد [5] :

أمر مضى حكمه من خالق البشر   اصبر فقد جاءت الأيام بالعبر

وقال أيضا [6] :

حطوا الرحال فهذا سيد العرب   عبدالعزيز فما في النفس من أرب

وحرص الشعراء على الديباجة الخالية من المحسنات التى تهتم بالتأنق في اللفظ ، وتوشيته بالمحسنات اللفظية والمعنوية . وليس هذا يعنى الخلو من هذه الديباجة ، بل يعنى التقليل منها ،

---

(١) ديوانه : ٣٦٦ .

(٢) معجم المصـــادر الصحفية : ٥٨/١ .

(٣) معجم المصادر الصحفية ٥٨/١ المكبر : التقـدم في الســن .

(٤) و (٥) و (٦) معجم المصادر الصحفية ٥٧/١ ـ ٥٨ .

حتى إن أكثر ما نجد لديهم من محسنات إنما هى طبيعية ، تأتى عفو الخاطر ، ويستلزمها نسق القصيدة المتدفق كقول ابن سحمان [1] :

فيا محنة الاسلام من كل جاهل ويا قلة الأنصار من كل عالم

وكان نصيبهم من العبث اللفظى من تشجير ، وتشطير ، ومعارضة ، وتعجيز وتصدير وتضمين ومجاراة ، أقل بكثير مما عند غيرهم من شعراء الجزيرة الآخرين .

ورغبوا في البحور الطويلة الكثيرة التفاعيل كالطويل والكامل والبسيط ، وإذا استثنينا ما لابن مشرف من قصائد في القصص والنصائح قصيرة البحور ، فاننا نطمئن إلى القول بأن كل شعر الدعوة كان مغرما بهذه البحور ، ينسج على منوالها ، وميله إليها أثر من الروح الحماسية ، التى نفخت في هذا الشعر ، فتوقد ، كالحمم والبراكين في وجوه معارضي الدعوة ، يصف المعارك ، ويرثى القتلى ، ويهجم على الأعداء .

وأطالوا في القصائد ، في نفس شعرى ممتد لا يتوقف ، حتى بلغت القصائد سبع مئة بيت ، وخمس مئة ، وثلاثة مئة أما المئة بيت فشيء كثير ، وكان لهم مجال واسع للإطالة في المديح ، والشكوى ، والدفاع ، وشرح الدعوة وأفكارها ،

---

(١) ديوانه : ٣٢٤ .

وكانت ظروف الحيــاة السياسية والاجتماعية ملأى بالأحــداث والقضايا والأفكار ، مما يجعل الشاعر يسترسل ، يستمد أفكاره من معين لا ينضب ، لكن الشيء الذى أعطى القصائد أكبر حجم من الطول ، عرضها لقضايا العقيدة ، والخوض مع المعارضين في مسائل من الفقه والتوحيد ، والعقائد ، هى من أبعد الأشياء عن روح الشعر الجميل ، وابن سحمان أطول الشعراء نفسا ، كما في قصيدته التى رد بها على الملاحى ، وقد بلغت سبع مئة بيت ، وقصيدته في الرد على دحلان في خمس مئة بيت ، وغيرهما [١] .

أما مضامين الشعر فان أهم ما يستبد بالاهتمام ويستثير الإعجــاب هذه الكثرة الكاثرة من قصائد الدفاع عن الدعوة ، سواء في جانبها الفكرى ، من شرح لأفكارها ، وعرض ودعوة اليها ، أو دفاع شبه أعدائها الذين نقدوها بكثير من الحيف ، وقليل من الإنصاف ، وأكثر ما قيل من الشعر في هذا الجانب ، أم في مسيرتها الحركيــة السياسية ، وما يتصل بها من وصف للجيوش ، والمعارك والحروب ، واشادة بالفتوح وتهان بالانتصار ورثاء للقتــلى وبكاء ، وحض للهمم على الثورة على الغــزاة ونبذهم ، وقد شارك الشعراء كلهم في كل الجوانب ، الحركى السياسي ، والفكرى العلمى ، فوقف ابن مشرف وسطا فيهم

---

(١) انظر شــعر الهجــاء : ٢٣ ، وانظر ترجمة الشــاعر : ٧٤ ــ ٧٦ .

يجمع شعره الكثير في تلك الناحيتين سـواء ، وغلب على ابن سـحمان الجانب الفكرى ، وغلب على ابن عثيمـين الجـانب السياسي[1]، كان ابن مشرف يشهد قوة الصراع بين أعداء الدعوة في الميدانين المتوازيين ، الدعوة والحركة ، فكان شعره متواكبا مع الجانبين ، وشهد عصر ابن سحمان قوة الصراع الفكرى مع أعداء الدعوة ، خارج الجزيرة وداخلها ، فغلب عليه هذا الجانب، وعاصر ابن عثيمين الثورة الجديدة التى قام بها الملك عبد العزيز امتدادا للدعوة ، وكان للملك من المعارك والحروب ما يستبد بالأذهان فجاء شعر الشاعر صورة لهذه الحياة الحافلة .

وشيوع روح القوة في الشعر أمر جـد طريف ، فالمتتبع لهذا الشعر يجد فيه روح الكفاح والنضال والجهاد ، والذب عن الحرمات ، وهو بذلك صورة للقوة التى استخدمت في هـذا العصر الذى تشابه فيه حيوان الغابة ، وانسان القرية ، بله انسان البادية الذى جمع من البيئتين ما فيهما من قسوة وفتك واتتهاز ، كما عاصر الزعماء الذين يرون سلطانهم ينافي سلطان الله ، فرغبوا عن الإصلاح ، واستبدت بهم شهوات السيطرة والقوة والقتل . فكانت القوة في العدل علاجا ناجحا للفوضى القوية ، كما قال ابن مشرف [2] :

---

(١) الحركة الادبيـة .

(٢) ديوانـه : ١٠٠ .

ما جـرد الصمصام ذو همــة   عند اعوجاج الأمر إلا استقام

وكان معاصرو الإمام والدعوة من العلماء والناس ، لا يرون فيها شرا ، أو انحرافا لكن يقولون نخشى من أمرائنــا الذين لا يريدون أن يذلوا بعد عــز ، فكان الحجــاب الذى يحجب الحركة عن الامتـــداد ، ويدعو إلى استعمال القــوة هم هؤلاء الزعماء والأمراء ، الذين لا يجدى فيهم سلطان القرآن ، إلا سلطان القوة قال ابن مشرف [1] :

فمن لم يقومه الكتاب أقامــه   حدود الظبا والسمهرى المثقف
فهل يستقيم الدين إلا بدعوة   إلى الله يتلوها سنان ومرهف ؟
وقد فرض الله الجهادعلى الورى   لمن كانعن نهجالشريعة يصدف

وكان هذا العصر مليئا بالفتن والقلاقل ، من طالبى الشهرة على حساب مجتمعاتهم ، الذين ما يجدون فرصة للوثوب أو الغدر إلا استغلوها أبشع استغلال ، كما قال ابن سحمان [2] :

وإياك أن تفتر منهم بمنطــق   لبيب فانالسم قد يمزجالشهدا
ومنلم تخفمنه العدا فيبلادها   أخافته في أوطانه وانتضتغمدا

وقال ابن عثيمين [3] :

(1) ديوانــه : ٨٣ .
(2) ديوان ابن سحمان : ٢٨١ .
(3) ديوان ابن عثيمين : ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

إمام الهدى إن العدو إذا رأى | له فرصة في الدهر ينزو لها وثبا
ومن ألجأته للصداقة علة | يكن سلمه من بعد علته حربا
فعاقب وعاتب كل شخص بذنبه | فلولا العقوبات استخف الورى الذنبا
فمن سل سيف البغى فاجعله نسكه | ومن شب نارا فارمه وسط ماشبا
بذا يستقيم الأمر شرعا وحكمة | وينزجر الباغى إذا هم أوهبا

- ٢ -

وروح الحزن والأسى نمط آخر حفل به هذا الشعر ، فجاء شعر البكاء والرثاء والشكوى وافرا كثيرا ، وكان ذلك تصويرا دقيقا لبعض فترات التاريخ الأسود ، الذى عاشه إنسان هذه الدعوة ، في بعض الظروف ، ولم يكن هذا الشعر شعر اندحار وانهزام نفسي ساحق ، بل كان يمثل روح المؤمن الصادق ، بين الخوف والرجاء ، يؤمن بالقدر خيره وشره ، وأن ما أصابه لم يكن مخطئا له ، لكنه لا يستسلم أو ييأس ، بل يظل فاتحا قلبه يرجو من الله كل خير ، قال ابن سحمان [١] :

فنح وابك واستنصر بربك راغبا | إليه فان الله أرحم راحم
لينصر هذا الدين من بعد ماعفت | معالمه في الأرض بين العوالم

وقال عبد العزيز بن حمد بن معمر [٢] :

(١) التذكرة : ٣١٤/١ .
(٢) عنوان المجد : ٣٧/٢ - ٣٨ .

الا أيها الإخوان صبرا فإننى أرى الصبر للمقدور خيرا وأنفعا
ولا تيأسوا من كشف ما ناب إنه إذا شاء ربى كشف ذاك تمزعا
وما قلت ذا أشكو إلى الخلق نكبة ولا جزعا مما أصاب فأوجعا
عسى وعسى أن ينصر الله ديننا ويجبر منا اليوم ما قد تصدعا

وتفاعل الشعر مع أحداث الأمة ، في السراء والضراء ، فصور المعارك الطاحنة ، والفتن الكارثة ، وصور القتلى ، واليتامى والأرامل ، ودخل غمار الحياة الفكرية غير وان أو مقصر ، وصور فساد الحكم وصلاحه ، وقوة الحاكم وضعفه ، وكان جريئا في أغلب أطواره ، وصور ما يلاقى الآمنون من ويلات هجمات اللصوص ، والأعراب والغزاة ، وفي غمار ذلك نسى الشعراء ذواتهم ، فلا نجد من حديثهم عن أهلهم ، وأقاربهم ، بل وأنفسهم إلا القليل[1] ، وكأنما وهبوا أنفسهم للدفاع والجهاد ، ورأوا الحديث عنها شيئا ثانويا ، لا ننسى أن إنسان هذه الصحراء قد اعتاد التكتم ، والسكوت ، والغموض عما يتصل بحياته الشخصية ، فأى إنسان تلقاه من أى بلاد الله شرقها ، وغربها ، يفتح لك حقيبة معلوماته الشخصية ، ويريك صوره وأولاده ، ويحدثك كثيرا عن نفسه ، لكن رجل هذه الصحراء اعتاد الغموض ، فلو سألته عن اسمه لغيره ، ومن أين لورى ، ومن هو

---

(١) كما نجد في شعر ابن سحمان ، ديوانه : ١٥٦ وانظر ديوان ابن بليهد : ١٨٩ – ١٩٠ .

لكنى ، ولم يصرح ، وهو طبع من صفات أهل الصحارى والقفار، فلم يكن الحديث عن شؤون النفس بالحسن المقبول في بيئتهم ، ولهذا جانبه الشعراء ، وهم بشر لا ينفصل عن هذه الصحراء ، رغم ثقافتهم وعلمهم .

ولم يصور الشعر كثيرا من عادات المجتمع وأحواله ، وتقاليده ، مما اعتدنا أن نسمعه من الشعراء ، أو نحس به من خلال قصائدهم ، باديا أو على خفاء ، ولعل الشعراء الذين شغلهم الحرب والسلم ، والدفاع ، والخصام والدعوة ، والهجاء ، لم يكن لهم من الوقت ما يكفى لأى شيء آخر .

- ٣ -

ولما كانت حياتهم جهادا وجدا وعملا ، اتسم شعرهم بالجد وجانب الهزل ، فكان له حديثا عن التقاء الأقران ، وتلاحم الصفوف ، وتهانى الفتوح ، وشرح مضامينهم الجديدة ، فلم يفرغوا لمجالس السمر ، والمنادمة ، ووصف الرياض الزاهية ، ومظاهر الحياة البهيجة في الطبيعة والحيوان والإنسان ، حتى رسائلهم الشعرية فيما بينهم لم يكن همها الحديث عن الشوق ولواعجه ، والبعاد ومصاعبه ، ومرارة الهجر ، ولوعة الفراق ، كانت جدا كحياتهم التى لم يكن لها من الفراغ ، ما يتيح لأمور الحياة الماتعة المترفة ، ان تتسرب الى قلوبهم ، يستنصر فيها الأخ

أخاه يطلبه مواساته في بلية تصيب ، أو مشاركته لحمل أمانة ثقيلة ، قال عبد العزيز بن طوق في رسالته إلى عبد اللطيف بن عبد الرحمن [1] :

مصاب يكاد المستجن بطيبة ينادي بأعلى الصوت: هل من مثابر؟
فجد لي برد منك تبرد لوعتي ويحدى به في كل ركب وسامر
وتنصر خلا في هواك مباعدا ولولاك لم تعبث به أم عامر

وقال عبد اللطيف في رسالته إلى سعد بن عتيق [2] :

يا سعد إنا لنرجو أن تكون لنا سعداً ومرعاك للزوار سعدانا
وأن يضر بك الرحمن طائفة ولت وينصر من بالخير والانا

ومن أجل هذه الجدية ، خلت أشعارهم من الغزل ، إلا ما كان مطلعا تقليديا ، عبده الشعراء الأولون ، وسار فيه المتأخرون ، وعلى إقلالهم منه فإن الشاعر كثيرا ما يعتذر عن غزله ، بأنه لم يقله إلا مجاراة ، وإلا فهو لا يفرغ لمثل هذه الأمور ، قال ابن عثيمين يتنصل من الغزل [3] :

مضوا ببدور في بروج أكلة بهن حليم القلب يصبو وجاهله
وزعت الصبا لما علا الشيب مفرقي وودعته توديع من لا يجامله
وفئت إلى رشدي واعطيت مقودي نصيحي فهمها قاله أنا قائله

---

(١) الدرر السنية : ١٨٨/٧ ، ولعل مثابر تحريف عن مناصر .
(٢) الدرر السنية : ١٨١/٧ .
(٣) الديوان : ١٣٨ .

ويقول أيضا [1] :

تلك العهود التى ما زلت أذكرها فكيف لا والذي أهواه سمارى
استغفر الله لكن النسيب حلى يكسى بها الشعر في باد وفي قار

وأياً ما كان الباعث على ذلك ، فانه يدل دلالة قوية على ضمور هذا الجانب ، ورغبتهم عنه ، وغزلهم ما وجد منه كان عفيفا لا يكاد يبين عن شيء من شهوات الجسد الضارية التى تقتحم قصائد الآخرين .

وليس لهم في الترف جانب ولا لسان ، فلم يكن حديثهم فيه ، ولا اليه ينزع وهم الذين عاشوا أغلب فترات حياتهم ، في صراع عنيف ، لا يهدأ في مكان إلا ليثور في مكان آخر ، بله حياة الشظف والخشونة التى كانت في أغلب هذه الفترات .

وعدم وجود شعر المجون واللهو ، فلا بذئياً من اللفظ ، ولا ساقطا ولا سخيفا من الأفكار والعادات ، فلن تجد أى شيء من شعر الخمرة ، أو الغزل الفاسق ، أو الغزل بالغلمان ، أو التهتك في شيء من الأشياء ، مما قد تجده في شعر معاصريهم وخاصة في الحجاز ، حيث أمشاج شتى من المذاهب منها الصوفي الناسك ، والأبيقورى المتهالك ، والجنسي الصريح .

---

(1) الديوان : ٢٩٣ .

أما الروح الدينية فالحديث عن أثرها واسع طويل ، نكتفى منه بما دل وقل .

وأول ما نجد من طابعها افتتاح القصائد بالحمد والشكر ، للذى أعطى ومنح ، قال محمد الحفظى يهنىء الإمام عبد العزيز في نصر يوم كربلاء [١] :

اتانا بشير الخير بالفتح والنصر   فشكرا لك اللهم في السر والجهر

وقال ابن بليهد [٢] :

لك الحمد آللهم ما لاح طالـع   وما هل من ودق الغمامة هامع

أو بالتضرع اليه ، واللجوء في الشدائد والمصائب ، وهو خير وكيل كما في مطلع حسين بن غنام في رثاء الإمام [٣] :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع   وليس إلى غير المهيمن مفـزع

وقال عبد العزيز بن حمد بن معمر [٤] :

إليك إله العرش أشكو تضرعا   وأدعوك في الضراء ربي لتسمعا

---

(١) نفحات من عسـير : ٦٣ .
(٢) معجم المصـادر الصحفية : ٥٧/١ .
(٣) تاريخ ابن غنـام : ١٥٥/٢ . وعنوان المجـد : ١٠٥/١ .
(٤) عنوان المجـد : ٣٧/٢ ، ٣٨ .

ويتحدث الشاعر عن أعدائه فيتصورهم أعداء لأنهم خالفوا سنة الإسلام ، فعكفوا على القبور ، وأهملوا أركان الإسلام ، وحكموا قوانين البشر ، وحين تنزل المصـــائب لا يتخوف منها الموت المحدق به بل يتخوف أن يذل الدين رجل فاجـــر ، قال عبد العزيز بن معمر [1] :

عسى وعسى أن ينصر الله ديننا ويجبر منا اليوم ما قد تصدعا
ويعمر للسمحا ربوعا تهـــدمت ويفتـــح سبلا للهـــداية مهيعـــا
ويظهر نور الحق يعـــلو ضياؤه فيضحى ظلام الشرك والشك مقشعا

ويمدح العلماء يشيد بجهادهم ، وأقلامهم التى أفناها البرى ، ومحابرهم التى أنضبتها الكتابة ، ودفاترهم التى قضى عليها بذلها في سبيل الله ، لايضاح الحجج ، وهداية الناس .

ويمدح الزعمـــاء بأنهم يخافون الله ، ويقفون عند حدوده يتبعون ما قال الله وما قال رسوله ، وينتضون سيوفهم مدافعين عن بيضة الدين ، ويرجو لهم سلوك النهج الأفضل في سياسة الرعيـــة [2] :

عسى أن نراها ســيرة عمرية يدين لها غرب البلاد ومشرق

ووسائل الدينونة ، وعذاب الآخرة ، ونعيمها أشياء تناوبها القصائد للتخويف والرجاء والدعاء ، قال حسين بن غنام [3] :

---

(1) عنوان المجـد : ٣٧/٢ ، ٣٨ .
(2) ديوان ابن عثيمين : ١٢٤ .
(3) الدرر السنية : ١٠٧/٧ .

نفوس الورى إلا القليل ركونها إلى الفى لا يلفى لدين حنينها
فسل ربك التثبيت أي موحد فانت على السمحاء باد يقينها
وغيرك في بيد الضلالة سائر وليس له إلا القبور يدينها

لقد غاص الدين في أعماق القوم ، حتى امتزج بالأرواح ، والقلوب والعقول ، فصارت الجوارح منه تبدأ واليه تعود ، حتى دخل التصور الفكرى ، مما جعل شاعرا كابن سحمان يتحدث عن قضية قد تكون تافهة وعادية ، لكن الشاعر يستنبط منها شيئا لا يفطن اليه في هذا الموقف إلا من قوى ايمانه ، وصح دينه ، أكل الذئب عناقا لأخيه ، فضل يناجيه ، ويسأله كيف خان العهد ، ونكث الإيمان ، على طريقة الفرزدق [١] :

أقول لذئب السوء لما سألته وقد طال قيل بيننا وعتاب
غدرت وكان الغدر منك سجية فجوزيت شرا واعتراك عذاب
اكلت عناقا ارصدوها لديهمو ولم تخش غبالفدر وهو يهاب
فهل لك في نقض الهود مسوغ وقد كان غدر بالعهود يعاب ؟

وهنا يربى على الفرزدق باستخلاص الفكرة من القصة ، وتحميل الذئب الأفكار التى تنبض بها خلجات قلبه نحو الدين والأمة :

(١) ملتقى الأنهار ١٨١ وليست في الديوان .

فقال : نعم إن الذئاب جميعهـا | عليكم تحامت والجميع غضاب
فقلت : أهل عما مضى أنت راجع | وهل لك في العهد القديم اياب؟(١)
فقال : نعم إن راجع الناس دينهم | وتـابوا إلى مـولاهم وانـابوا
وحامت عن الدين القويم حماته | وقـدم منـه سـنة وكـتاب
هنالك لا خـوف عليـكم وأنتم | لكل الذئاب العـاديات صحاب

ومن أجل قوة الروح الدينية في مضمون الشعر ، كثرت الألفاظ الدالة عليها : من الإسلام ، والدين والكتاب ، والإيمان ، والكفر ، والجهاد والقرآن ، والسنة ، والبدعة ، والعلم والجهل ، وصفاتها كالمؤمن والمجاهد وشيوع هذه الألفاظ نتيجـة طبيعية لشيوع مضامينها .

(١) وكلمة أهل تحريف لعل أصله : فهل .

الفصل الرابع

الشعر في نجد



- ١ -

تأخر ظهور الشعر الفصيح في نجد عن ظهور الدعوة الاصلاحية ، ولذلك نجد الشعراء الأوائل الذين واكبوا أصداءها وأفكارها قد هاجروا إلى نجد لإقامة طويلة أو قصيرة خاصة من الإحساء البيئة العلمية ، والشاعرية الخصبة فابن غنام احسائى، وكذلك خلفه ابن مشرف ، أو هاجروا من غيرها كابن سحمان الذى انطلق من الجنوب ليسد هذا الفراغ الذى لم يمتلىء بشاعر نجدى .

ولذلك أسباب أولها : الأمية الحرفية والفكرية ، التى جعلت الشعراء البارعين يظهرون على مسرح الشعر الشعبى ، دون الشعر الفصيح كمحمد القاضي وابن جعيثن والهزانى ، وابن لعبون ، ونحوهم من الشعراء الكبار الذين غذتهم نجد بلبانها ، وطبعتهم بصحراويتها .

الثاني : أن هناك شعراء ذهبوا في غمار الحياة ، وزحمة الأحياء ، فقد كان الشاعر النجدى المطبوع بين حالتين لا ثالثة لهما : إما أن يكون جاهلا أميا ، فلا عليه أن يكون نبطيا ، يقول ما يشاء من طيب الكلام ومرذوله ، وإما أن يكون متعلما مثقفا ، والثقافة هناك لها صلة بالدين ، بل هى الدين والتدين ، والشعر

في بعض البيئات الدينية سيطرت عليه خرافة الشيطان ، وزعموا أنه يزرى بأهله كما قال الشافعى :

ولولا الشعر بالشعراء يزرى   لكنت اليوم اشعر من لبيد

أو كما قال خالد بن عبد القادر الأحسائى [١] :

والله لولا ان يقولوا شاعرا   والشعر يزرى بالفتى الربانى

حسبك أن خير من أنجبت نجد من الشعراء في الجيل الماضي ظل في صراع طويل مع نفسه ، يريد أن يكون شيخا عالما من علماء الدين ، وتريد طبيعة الحياة أن يكون شاعرا لأنه خلق شاعرا •

والذين يقولون الشعر في نجد الماضية يستحيون منه وان كان في الزهد وأمور الخير ، فقد درج زمن ونحن نقرأ هذه القصيدة على أنها لأحد خدام علماء المسلمين ، الذى آثر كتمان اسمه ، فاذا بمصدر مطبوع بين أنها لم تكن لأحد خدام المسلمين ، بل كانت لإمام المسلمين عبد العزيز بن محمد بن سعود • والقصيدة من وسط شعر القوم وما منع الرجل من الانتماء اليها ، إلا ما في البيئة من حظ الشعر الردىء ، قال من القصيدة[٢] :

هدانا به بعد الضلالة والعمى   وانقذنا بعد الغواية بالرشد

---

(١) مختارات آل عبد القادر .

(٢) انظر القصيدة في الدرر السنية : ٧٨/٢ وانظر نسبتها الى الامام في النفحة القدسية : ٣١ (وقد أرسلت القصيدة ضمن رسالة من الامام إلى محمد بن احمد الحفظى صاحب النفحة القدسية) .

حبانا واعطانا الذى فوق وهمنا وأمكننا من كل طاغ ومعتـد
وأيدنـا بالنصر واتسقت لنـا ممالك لاتدعو سوى الواحد الفرد

ومن ذلك تتبين أهمية الدعوة في إدخالها الشعر الفصيح في أجواء نجد التى ركعت لقيود العامية ، حقبا طوالا ، سواء في الشعر أو في النثر .

ثم جاءت طبقة الشعراء النجـديين متأخرة وهى صـورة للصراع بين القديم والجديد ، فتجد الشاعر يبدأ شاعرا عاميا ، ثم يتحول إلى شـاعر يقول الفصيح ، فهو مزدوج الشعر يمثل عصره كل تمثيل ، كما نجد لدى زعيم الشعر النجدى محمد بن عثيمين ، ومعاصريه كابن بليهـد وأحمد البسام ، وقبلهم كان أحمد بن محمد السـديري ، شاعرا عاميا له قليل من الشـعر الفصيح ، وكذلك بعض شعراء القضاة ، وهذه الطبقة تمثل المرحلة الانـتقالية .

وحين نأخذ في بيان وتعداد الشعراء وأوليتهم فان قصيدة الإمام عبد العزيز هى أول قصيدة[1] ، ثم عبد العزيز بن حمد بن معمر في قصـيدة رثاء الدرعية ، وعثمان بن سـند في شماتته بالدرعيـة ، وبعدهم أحمد السـديرى وعبد العزيز بن طوق ،

---

(1) هناك قصيدات ضعيفة ، وبويتات قليلة ، قيلت قبل عبد العزيز بن محمد ابن سعود لا قيمة لها .

وعبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وعثمان بن منصور ، ثم تتسع الدائرة بظهور ابن سحمان ومعاصريه ولاحقيه كحسين ابن نفيسة ، وابن عثيمين وابن بليهد ، وآخرين كأحمد البسام وناصر بن عبد العزيز بن حسن .

وقد مر الحديث عن ابن سحمان ، وابن بليهد ، وابن عثيمين ، وابن طوق ، وابن معمر ، وعبد اللطيف آل الشيخ في شعراء الدعوة ، ونأخذ الآن في شعراء نجد من أعداء الدعوة ، أو ممن لم يكن لهم شعر يضمهم إلى شعراء الدعوة .

- ٢ -

١ - عثمان بن سند :

وعثمان بن سند البصرى ، أول هؤلاء وأشهرهم ذكرا خارج نجد ، ورغم أن هذا الرجل كتب في التاريخ والتراجم ثلاثة كتب إلا أنه نسي نفسه ، فتاه فيه المؤرخون ، ولد عام ١١٨٠هـ وهاجر إلى البصرة ، وتوفي في بغداد سنة ١٢٤٢ هـ أو قبلها بقليل أما كونه نجدى الأصل من قبيلة عنزة فلا ريب ، فأين ولد ونشأ ؟ يقول الأثرى محمد بهجت في مقدمة مختصر مطالع السعود إنه ولد في فيلكة من أعمال الكويت[1] لكنى أرجح

---

(١) نقلا عن تاريخ شرقي الجزيرة في العصور الحديثة : ٢٦ والترجمة منه أيضا ما عدا تصحيح نسبته الى نجد .

أنه نجدى مولدا ونشأة ، اضطره اصطدامه بالدعوة وغلبتها عليه إلى الفرار من نجد ، كما فر من الأحساء محمد بن فيروز ، وقصيدته في التشفى من نكبة الدرعية ، وقتل رجالها ، وتحريق نخيلها ، وهدم مبانيها ، وتشريد أطفالها ونسائها شر تشريد ، لا يمكن أن يقولها معاصر دفعه خلاف فقهى لخصام أو جدال ، لا سيما وحادث الدرعية كان يستحق العطف من الأعداء والأصدقاء ، للوحشية المنافية للإنسانية التي ارتكبها الجناة ، وليس هذا دليلا كافيا ، إن الألوسي وهو أعرف دون شك بابن سند ، والألوسي شيخ الأثرى يقول في غاية الأمانى ما نصه : « قال ابن سند أحد سكنة العراق من علماء نجد » [1] والعبارة صريحة في أن الرجل من أهل نجد ، ومن علمائه وأنه مهاجر إلى العراق ، ونجد في ذلك الوقت محددة المعالم ، وليس الكويت جزءا منها لا في القديم ولا في الحديث .

وليس في المصادر النجدية أى شعر لابن سند ما عدا مطلع قصيدته في التشفى من نكبة الدرعية [2] :

لقد فتحت للدين أعينه الرمد لدى لاح من بين السيوف له السعد

وله قصيدة يشم منها أنه قالها في هجاء ، أوردا على من تنقصه وأزرى به ذكرها الألوسي في غاية الأمانى [3] :

---

(١) غاية الأمانى : ١٥٢/٢٠ .
(٢) ديوان ابن مشرف : ٥٠ و ٥١ .
(٣) غاية الأمانى : ١٥٣/٢ .

يا معهد الزيغ لا حياك مبتكر	من السحاب ضحوك البرق منهمل
ولا انبنى فيك فسطاط السعود ولا	أقيم فيك لأبكار الرضا كلل
ولا عداك البلى في كل آونة	حتى تزول الجبال الشم والقلل
إذ أنت دمنة خبث طالما رتعت	فيه من الحمر الأهلية الهمل
من كل من خبثت منه ضمائره	إذا انقضى دخل منها أتى دخل
رأى خيار الورى طرا فجانبهم	كذا يجانب أرباب العلا السفل
وصار يرميهم منه بكل هجا	وما على البدر لو أزرى به طفل
.. فلا وربك ما يزرى بشمس ضحى	أعابها الجدى أم قد عابها الحمل

وله شعر منثور في كتبه التاريخية ، ومنها سبائك العسجد ، في أخبار أحمد نجل الأزرق ، أحد أثرياء الكويت ، ومطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود ، وقد ألفه بطلب من والي بغداد داوود باشا [1] ، والسحب الوابلة في طبقات الحنابلة .

٢ ـ عثمان بن منصور :

رجل آخر رفض دعوة الإمام ، وآزر أعداءها له نشاط قوى وشهرة ، لذلك نرى عبد اللطيف بن عبد الرحمن يفرده بكتاب أسماه مصباح الظلام في الرد على من خالف الشيخ الإمام ، يفند

---

(1) يقول د. مصطفى أبو حاكمة في كتابه « تاريخ شرق الجزيرة العربية في العصور الحديثة » : ٦ (في معرض الكلام عن أهمية الكتابين التاريخية) « ان استخلاص الحقائق التاريخية من كلامه ومن مؤلفاته المليئة باشعاره أمر عسير » وللكتابين أهمية أخرى في عرضه لسير معاصريه من علماء وأدباء وقد طبع كتاب مطالع السعود مختصرا بقلم أمين حسن الحلواني المدنى في بمباى عام ١٣٠٤ هـ ثم في القاهرة وطبع سبائك العسجد أيضا في بومباى .

فيه آراءه ، ولعبد اللطيف أيضا شعر في الرد عليه ، ولابن مشرف أيضاً رد عليه ، ولا ندرى من اسمه إلا أنه عثمان بن عبد العزيز ابن منصــور من بنى تميم ، وكان معــاصرا لعبد اللطيف بن عبد الرحمن ، وصديقا لداوود بن جرجيس ، ويبــدو أنه كان مقيما بنجد لم يهاجر فراراً من ملاحقة أعدائه له ، وربما كان ذلك في فترة ضعف الحكم السعودى ، وكل هــذه المعلومات مأخوذة من قصيدته المخطوطة ، المليئة بالتصحيف والتحريف . يقول منها (١) :

سرت من ربى نجد تجر ثيابها معطــرة الأردان كالنفى المثــرى
من الخل عثمان التميمى نظمها على نقض زيف من طعام صدى وكر

فالنفى المثرى ، وطعام ، وصدى وكر كلها عبارات محرفة ، وربما كانت طعام محرفة عن طغام .

ويبدو أن رجال الدعوة لا يتركونه يشتمهم في عقر دارهم ، بل كانوا ينغصون عيشه ، ففى رد عبد اللطيف بن عبد الرحمن تهديد وفتوى بقتله (٢) :

رأيت بها مــا يستباح بمثــله على ناظم سل المهندة البتــر

وبينما الرجــل يعاضد أعداء الدعوة نجــد له من الشعر

---

(١) الأصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ .
(٢) الأصول الثلاثة وملحقاتها (مخطوط) : ٦٠ .

ما يمدح به آل سعود . ويشيد بنصرتهم للدين ، فهل كان هذا المديح قبل بدءة الخصومة بينه وبين العلماء ، أم أنه في مديحه ، يداجي القوم ويتقي شرهم ، قال في مديح تركي بن عبد الله [1] :

ترى لابن عبد الله تركي صولة ... توارثها من والد الخير تعرف

وعم وجد قوما الدين بيننا ... محمد مع عبد العزيز المخلف

.. جوارهم عز ورفدهمو غنى ... وبأسهمو ذل لمن يتخلف

- ٣ -

١ ـ حسين النفيسة :

حسين بن علي بن نفيسة من ضرما بلدة غرب الرياض ، عاش في القرن الرابع عشر ، وتوفي حوالي عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م)[2] : شاعر تقليدي من هامته إلى إبهامه ، له ديوان مطبوع لم يتأت الإطلاع عليه ، وهو في حكم المفقود ، وأكثر المراجع إثباتا لشعره التذكرة ، التي أثبتت له ما يقارب عشر قصائد[3] وأثبتت له درر المعاني واحدة أيضا[4] ، والشاعر يعني بالأغراض التقليدية

---

(١) عنوان المجد : ٦٥/٢ ـ ٦٦ .

(٢) قال ابن ادريس انه توفي منذ عشرين عاما (الشعر في المملكة خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر ـ بحوث مؤتمر الأدباء الاول : ٦٥٥/١) . (نشر البحث عام ١٣٩٤) .

(٣) التذكرة : ٥٨/٢ و ١١٢/٢ و ١١٧/٢ و ١٠٨/٢ و ١٤٧/٢ و ١٥٢/٢ و ١٧٤/٢ و ١٨٥/٢ .

(٤) درر المعاني : ٢٢٨ ـ ٢٣٠ .

من مديح ورثاء وغزل ، وقد مر عرض نصين له في مديح آل سعود [1] ، ورثاء عبد الله بن خاطر [2] ، وقد عنى عناية فائقة بالمقدمة الغزلية ، وهو الوحيد من شعراء هذا العصر الذى يلح عليها ، وجميع قصائده في التذكرة من هذا النمط يقول[3] :

قفا وابكيا يا صاحبا من تقدما ... وعوجا على الأطلال ثم توسما
هل الدهر أبقى للمنازل آية ... وهل من مجيب بالجواب يجبكما ؟
فإن قال : هذا ربع أحبابنا الأولى ... فجودا بماء العين حتى ولو دما
عفا لا عفا من كل بكر مليحة ... ولا زال مأنوسا ولا زال منعما
فعهدى به فيما مضى بهجة لنا ... وعهدى به السمار والبيض كالدمى

وهو يلزم هذه المقدمة حتى في أغراض الرثاء ، كما في الميمية هذه ، وقد رثى بها أحد العلماء ، وكما في قصيدته في رثاء عبد الله ابن خاطر [4] :

سقى الله هاتيك الربوع بها طل ... من الدلو لا يخلو مدى الدهر يمطر
عهدت بها الحى الجميع فأصبحت ... طيور النوى تشدو بها ثم تصفر
سليما من الأحزان لمت فآلمت ... وهل هيج الأحزان إلا التذكر ؟
فما لى وما للهو إن شاب عارضي ... وغال سواد الرأس شيب مبكر
ذرينى وما قد كان منى صبابة ... وبكى فان الرزء ادهى واكبر

(١) انظر شعر المديح : ٣٥ ـ ٣٦ .
(٢) انظر شعر البكاء والرثاء : ٦١ .
(٣) التذكرة : ١١٢/٢ .
(٤) التذكرة : ١١٧/٢ .

هذه التقليدية الواضحة في شعره ليس لها من سبب إلا عدم تفاعله مع أحداث الدعوة الجديدة ، ويبدو أن الرجل ممن آثر السلامة ، والترداد على الخليج العربي للمديح والوفادة ، يستجير بأمرائه من وهج الصيف اللاهب في عالية نجد كما قال في مديح عبد الله بن خاطر [1] :

فمن مثله للوافدين مؤمل إذا أجدبت أوطانهم ثم أعسروا

وهو مثل شعراء المديح التقليديين يركز على وصف الممدوح بالكرم والبذل والعطاء ، وهذه التقليدية ليست من طابع شعراء الدعوة ، ولذلك آثرت وضعه في شعراء نجد ، وعلى كل حال فإن هذه الأحكام قابلة جدا للأخذ والنقض لاعتمادها على قليل من شعره .

٢ ـ احمد البسام :

شاعر من أسرة البسام المعروفة في عنيزة بنجد ، جاب الآفاق ، من أطراف البحر الأبيض إلى شواطىء الخليج العربي بحثا عن لقمة العيش ، عاش خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وهو يمثل المرحلة الانتقالية في جمعه بين الشعر العامي والفصيح ، كمعاصريه ، وشعره تقليدى يتركز في الحكمة والأخلاق ، والرثاء لذويه ، والشكوى ، ووصف الرحلة ، وفيه نأمة الدعوة إلى النهضة والإصلاح ، وتلك أثر من رحلاته

---

(١) التذكرة ١١٧/٢ .

الواسعة ، له كتـاب مطبوع أسماه « النديم » جمع فيه شعره العامى ، والفصيح ، وطائفة من الأخبار والمقالات ، ومن شعره يصف يوم الفراق ، وقد جرى إثر مالك بن الريب[1] :

صفا العيش لى فيهم ثلاثين حجة — بأطيب ما كان الزمـان صفاليـا

إلى أن دهتنا النائبـات بفرقـة — وأقصت دواهى البين منا الأدانيا

... وفي بلدى المألوف أم وأخوة — يعـز علي لا أراهـم أماميـا

وما أنس لا أنسى التى قد تركتها — تفيض دموعا حين حان وداعيـا

وقالت وقد زفت من العيس جسرة: — حنانيك لا تنفك تطوى الفيافيـا

ولم أنس ما عند الرحيل وصالح — يهيـج بكاء ذاب منـه فؤاديـا

ترحلت عنهم ساعيا في صلاحهم — أجوب الفيـافي سهلها والروابيا

(1) النـديم : ١١٢ و ١١٣ .

المصـــادر والمراجـــع

الاتجاهات الشعرية المعاصرة في نجد • دراسة • حسن فهد الهويمل • رسالة ماجستير ١٣٩٤ هـ (مخطوط) •

الأدب الحديث في نجـد • د• محمد بن سعد بن حسين ١٣٩١ هـ •

تاريخ شرقي الجزيرة العربية • د• مصطفى أبو حاكمة •

الشعر في المملكة العربية السعودية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر • عبد الله بن إدريس • بحوث مؤتمر الأدباء السعوديين ج ٢

تاريخ الأحساء (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، القسم السياسي ١٣٧٩ هـ • والقسم العلمي والأدبي ١٣٨٢ هـ • محمد بن عبد الله العبد القادر الأحسائي •

معجـم المطبوعـات العربيـة السعودية • أبحـــاث • علي جواد الطاهر • مجلة العرب ١٣٩١ هـ ـــ ١٣٩٢ هـ •

تاريخ نجـد (روضة الأفكار والافهـام) • حسين بن غنـام ١٣٦٨ هـ •

تاريخ نجـد (عنوان المجد في تاريخ نجد) • عثمان بن بشر ١٣٧٣ هـ •

التذكرة (تذكرة أولى النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان) . ابراهيم بن عبد المحسن بن عبيد ٤ مج .

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية . د. بكري شيخ أمين ، ١٣٩٣ هـ .

الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبد الرحمن بن قاسم ١٢ مج .

ديوان ابن بليهد (ابتسامات الأيام في انتصارات الامام) ١٣٧٠ هـ .

ديوان الخليفى (شاعر نبطي قطري) ١٣٨٣ هـ .

ديوان ابن سحمان (عقود الجواهر المتعددة الحسان) ١٣٣٧ هـ

ديوان ابن عثيمين (العقد الثمين) . جمع وتحقيق سعد بن عبد العزيز الرويشد .

ديوان بن مشرف . مطبعة السنة المحمدية . د. ت .

رسائل عبد اللطيف آل الشيخ بخط سليمان بن سحمان . المكتبة العلمية . دخنة بالرياض (مخطوط) .

شعراء نجد المعاصرون • دراسة ومختارات • عبد الله ابن ادريس ١٣٨٠ هـ •

شعراء هجر • عبد الفتاح هارون الحلو ١٣٧٩ هـ •

غاية الأماني في الرد على النبهاني • محمود شكري الألوسي • مطابع نجد التجارية • د• ت •

قصائد ونقائض بين شعراء الدعوة ومهاجميها (مخطوطة) المكتبة العلمية • دخنة • الرياض تحت رقم ٨٦/٤٥٩ و ٨٦/٦١٠ و ٨٦/٦٤٧ •

علماء الدعوة • عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ١٣٦٨ هـ •

نفحات من عسير • ديوان شعر من قصائد آل الحفظي جمع محمد ابراهيم الحفظي ١٣٩٣ هـ •

النديم • خواطر • وديوان من الشعر العربي ، وديوان من الشعر النبطي • أحمد بن صالح البسام ١٣٧٧ هـ •

أحاديث خاصة أو هاتفية مع الأستاذين : عبد الله بن ادريس وسعد بن عبد العزيز الرويشد •

الفهـــــرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة